البناء الفني لقصار السور في القرآن الكريم

The artistic structure of the short chapters in the Holy Quran

إعداد

معاذ موسى يوسف البوريني

إشراف

الأستاذ الدكتور عزمي محمد شفيق الصالحي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على

درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

جامعة جرش

أيار ، ٢٠١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جامعة جرش

التفويض

أنا معاذ موسى يوسف البوريني، أفوض جامعة جرش بتزويد نسخ من رسالتي " البناء الفني لقصار السور في القرآن الكريم " للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:.....

التاريخ: ٢٤ / ٦ / ٢٠١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

" الرحمن ، علّم القرآن ، خلق الإنسان ، علّمه البيان "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إهداء

إلى من حملتني وهنا على وهن

وتحملتني طوال هذا الزمن

إلى أمي الغالية

إلى أبي سراج النور في طريقي

الذي طالما حثني على العلم

وحبّب إليّ صناعة القلم

إلى أخوتي الأحباء وصديقي العزيز جهاد الدجاني

إلى كلّ من علمني حرفاً .

إلى كل من يعشق لغة الضاد

أهدي هذا العمل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

بعد شكر الله عزّ وجلّ ، أخصّ بالشكر قامة عملاقة في هذا الزمن ، قلّ وجودها ، أسأل الله أن يكلأها بعين رعايته ويديمها ذخراً للعربية لغة القرآن وأهلها ، ولكلّ متعطش للعلم ، يحاول أن ينهل من بحر علم الأستاذ الدكتور عزمي الصالحي .... وإنّ الكلماتِ النثريةَ لا تكفي لإيصال الشكر لهذا الرجل الذي كان وما زال من فرسان العربية الذين قلّ وجودهم في هذا الزمن ، لذلك نظمت شكري له أبياتاً من الشعر أهديها له ، لعلّها تفي جانباً صغيراً من حقه على طلبته ، وعليّ خصيصا فقلت :

إذا رُمْت العزائم فالْقَ عزمي ... يدلّكُمُ على هِمَمِ الرجـــال

صلاحًا فيه تـلقى مــن جدودٍ ... صلاحُهُمُ على عدد الرمال

إذا الأهوال طلّت من جُحورٍ ... رأيتَهُمُ كـمُنهلّ النـبـال

وفـــي الخـيرات ألفيْناه دوماً ... كجِنّيّ تـفلّت من عِقال

رأيْت الخيـر ينـبع من يديـه ... مَهيب الجنب في حُلَلِ الكمال

غـزيـر العلم طـلاّع المعالي ... جبال العلم يصعد في جلال

كـريم النفـس يجـلو كـلّ همّ ... بنظـرته يميـنا في شمال

إذا نـقد الفصـيح بـربّ قولٍ ... سقاه الشهد من فهم المقال

بحثْنا عنه يوماً في البرايا ... وجدنا ظـلّه فـوق الجبال

سـقانا من علـوم راسـياتٍ ... لذيـذ العِلْم مع مـاءٍ زلال

بَعَثْنا للعُـلوم لـه رسولاً ... فعـاد بـفائضٍ خير الغلال

يعلّمنا لذيـذ القـول حُـلْواً ... ويلقي في يديك برأس مـال

إذا كَـال العـنـيد لـه مـقالاً ... أذقْـنا داره مُـرّ الوبـال

يفـوق البدر حـسناً وانبلاجاً ... إذا قـارنـت تـبّا للفصـال

سـألت الربّ أن يبقيه ذخـراً ... لنَنعَم بالكريم من الخصـال

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفهرس التفصيلي للموضوعات

الموضوع **الصفحة**

٢ – قرار لجنة المناقشة ..... ب

١ – بسملة ..... جـ - د

٢ – إهداء ..... هـ

٣ – شكر وتقدير..... و

٤ – مقدمة البحث .....١ - ٨

٤ – الفصل الأول : السور القصار في القرآن الكريم .....٩ - ٣٩

- **تحديد قصارالسور .....١٠ - ١١**
- **السور القصار وخصائصها المكية وموضوعاتها .....١١ - ١٣**
- **موضوعات السور المكية .....١٣ - ١٦**
- **علاقة قصر السور بالمكان والبيئة .....١٦ - ١٨**
- **السور القصار والبيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية.....١٩ - ٢٤**
- **اجتماعيا .....٢٤ -٢٧**
- **اقتصاديا .....٢٧ - ٢٩**
- **سياسيا .....٢٩ - ٣٢**
- **ثقافيا ..... ٣٢ - ٣٧**
- **دينيا .....٣٧ - ٣٩**

٥ – الفصل الثاني : التصوير الفني في السور القصار ..... ٤٠ - ٧٢

- **الصورة الفنية ومفهومها ٤٤**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الصورة في التراث النقدي العربي ..... ٤٤ - ٤٧
- الصورة عند النقاد الغربيين ..... ٤٧ - ٤٩
- الصورة عند النقاد المحدثين من العرب ..... ٤٩ - ٥٢
- أنواع الصورة الفنية ..... ٥٢ - ٦٤
- التشبيه ..... ٦٥ – ٧٢

٦ – الفصل الثالث : ظواهر فنية وأسلوبية في السور القصار ..... ٧٣ - ١٣١

- مفهوم التوازي ..... ٧٥ - ٧٩
- التكرار ..... ٧٩ - ٩١
- السجع والفاصلة ..... ٩١ - ٩٣
- السجع المتساوي ..... ٩٤ - ٩٥
- السجع المتوازي ..... ٩٥ - ٩٧
- الازدواج ..... ٩٧ - ٩٨
- الموازنة ..... ٩٨ - ٩٩
- التجزئة ..... ١٠٠ - ١٠٢
- الترصيع ..... ١٠٢ - ١٠٣
- التطريز ..... ١٠٤ - ١٠٦
- تشابه الأطراف ..... ١٠٧ - ١٠٩
- رد العجز على الصدر ..... ١١٠ - ١١٢
- العكس والتبديل ..... ١١٢ - ١١٤
- المماثلة ..... ١١٤ - ١١٦
- التفويف ..... ١١٦ - ١١٧
- المقابلة ..... ١١٨ - ١٢٠
- الطباق ..... ١٢٠ - ١٢٢
- المناسبة ..... ١٢٢ - ١٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- التلاؤم ١٢٥
- الجناس .....١٢٦ ــ ١٣١
٣ ــ خاتمة ونتائج ..... ١٣٢ - ١٣٤
٤ ــ ملخص بالعربية ١٣٥- ١٣٦
٥ ــ ملخص بالإنجليزية ١٣٧
٧ ــ المصادر والمراجع ..... ١٣٨ - ١٤٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مقدمة البحث

الْحَمد لله الَّذِي أحلنا محلّة الْفَهم وحلانا حلية الْعلم وملكنا عقال الْعقل وزيننا بنطق الْمنطق ونعوذ بِهِ من كدر صفاء الْفِكر وعكر ذهن الذِّهْن وَصلى الله على الْمَبْعُوث بجوامع الْكَلم إِلَى أَعقل الْأُمَم وعَلى جَمِيع أَتْبَاعه والسائرين فِي منهاج أَتْبَاعه وَسلّم تَسْلِيمًا كثيرا . أما بعد ،

فمنذ أربعة عشر قرناً من الزمن ، يثبت القرآن الكريم أنه الكتاب المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو أمر جعل الباحث يتفكر في اختيار موضوع متعلق بهذا الكتاب المعجز ، محاولاً أن يسبر جزءاً من غوره ، باحثا عمّا أقنع أهل قريش والعرب بداية بأنّ هذا القرآن الكريم معجز ، وبأنه كلام الله لا كلام البشر ، ودفعهم للتصديق بنبوة الرسول الكريم ، صلى الله عليه وسلم ، بالرغم من براعتهم اللغوية التي أقرّت بها قبائل العرب واتخذتها وسيلة لكتابة آثارها اللغوية . وفي قراءة قرآنية عامّة ، أحسّ الباحث بتميز خاص في قصار السور التي جاءت في الجزء الأخير من القرآن الكريم ، وشعرالباحث بفروقات واختلافاتٍ أسلوبية بين قصار السور وطوالها ، وهو ما دفعه للنظر في سور القرآن القصار ، ولماذا يتعلمها الطالب أول ما يتعلمها في صباه ، وفي المرحلة الابتدائية في المدرسة ، ولا يعرض لطوال السور في أيام تعلمه الأولى ؟ وكيف أن قريشاً ظلت حقبة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طويلة من الزمن تسمع السور القصار وتسحر بها ، وتدفعها الآية والآيتان للإيمان بالرحمن، في لمحة عين .

وكان مما دعا الباحث لاختيار السور القصار ، ذلك الجرس الموسيقي الذي يشعر قارىء السور القصار به ، الذي تغيب بعض مظاهره في طوال السور ، فشدّني ذلك لمتابعة البحث في السور القصار ، وما الذي ميزها عن السور الطوال ، وما سرّ ذلك الإحساس الموسيقي الذي تشعر به عند تلاوتها بخاصة ، كما شدّ المسلمين الأوائل ودفعهم للاستماع والإيمان بهذا القرآن .

ومن الأهداف التي يسعى إليها الباحث في هذا البحث ، أن يثبت أنّ الظواهر الموسيقية في القرآن ، عبر لغة مميزة صيغت بإبداع منقطع النظير ، قد خدمت القرآن والدعوة ، وجذبت الناس للاستماع والإنصات لما لم يألفوه من البيان والبلاغة المصاحبة لموسيقى عجزوا عنها ، وأن الموسيقى وُظّفت لخدمة النص القرآني بما لا يستطيعه بشر ، وأنّ هناك سرًّا في كون السور القصار جاءت في زمن البعثة الأول ، ولم تنزل في المدينة في أواخر الرسالة النبوية ، وهو المساعدة على الحفظ والتذكّر ، ومراعاة حال المسلمين المضطهدين في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية ، فاللغة والخطاب انعكاس لحالة المجتمع ، ومرآة لأحواله وما يدور فيه، وكما نزلت بعض الأحكام والتشريعات بالتدريج ، كحكم الخمر وتحريمها على سبيل المثال ، كذلك طالت السور والآيات تدريجيا مع استقرار أمر الدولة واحتياجها للتشريع والأحكام المفصلة التي ناسبها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طول السورة ، وهذه السور القرآنية لا بدّ من أن تكون قد جاءت مراعاة لمقتضى حال المسلمين واستجابة لدواعي الظروف التي كانت تحيط بهم .

وأراد الباحث أن يؤكدّ أنّ هذه السور القصار في موضوعاتها وأساليبها تختلف اختلافا كبيرا عن موضوعات وأساليب السور الطوال ، التي تظهر بعامة في السور المكية والمدنية ، وإن حدث أن كانت السورة المدنية قصيرة ، وهو ما لمسه البحث ، نجد أنّ عدد الكلمات فيها يتضاعف بشكل كبير جداُ وإن ظلّ عدد الآيات قليلاً .

ويسعى الباحث أن يثبت أن هناك علاقة وطيدة بين قصر السورة والمكان الذي نزلت فيه ، والبيئة التي نزلت فيها .

وإذا انتهى البحث لإثبات صحة هذه الفرضية فإنّ من يبحث في السور القصار فسينتبه للأسلوب الإلهي في التدرج والتخفف في إيصال الفكرة الدينية بسهولة ويسر ، بل إنّ الدعاة سيضطرون لتوخّي الأسلوب الإلهي في إيصال الدين دون تعنّت منهم أو تشدّد ، مراعاة منهم لأحوال الناس والبيئات والأماكن التي ينشطون فيها ، فضلاً عن أنّ النتائج التي سيتمخض عنها البحث يمكن توظيفها في سياق دراسة علاقة الأدب ولغته بالبيئة .

وفي رحلة البحث عن الدراسات التي عنُيت بالموضوعات والقضايا التي تشغلني في ما يتصل بالسور القصار ، لم أجد ، على ما بذلت من جهد ، دراسة انصبّت على السور القصار بمجموعها ، تستجلي أسرار لغتها وعجيب بيانها وأساليبها ، ما حفزني على العزم للقيام بهذه المهمة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وإذ تقع السور القصار بمعظمها عدا سورة الفاتحة ، في الجزء الأخير من القرآن الكريم (جزء عمّ) ، تابعت ما كُتب عن هذا الجزء ، فوجدت أربع دراساتٍ لم تُعن أيّ منها بالموضوعات التي أنوي البحث فيها في السور القصار ، وإن لامست بعض أطرافها الخارجية . وهذه الدراسات :

الأولى : (جزء عم دراسة أسلوبية) للباحث إبراهيم عقلة الحجاج

تقع الدراسة في ثلاثة فصول درس الباحث فيها في الفصل الأول : التقديم والتأخير في جزء عم ، وتناول بالدراسة في الفصل الثاني : الحذف ، وعني في الفصل الثالث بدراسة : ظواهر أسلوبية أخرى كالتكرار والاستعارة والمقابلة والجناس .

الثانية : (بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء عم) للباحثة عزة عدنان أحمد عزت

وهذه دراسة صوتية ، ذكر فيها بعد عرض بنية كل سورة ، جداول بعدد الأصوات والمقاطع الصوتية والفاصلة بأنواعها بنسبها المئوية ثم النتائج . وهذه الدراسة بعامة دراسة صوتية كما وجدها الباحث ، لا تعرض لتميّز قصار السور بالأسلوب من غيرها من السور.

الثالثة : (بناء الجملة الفعلية في جزء عم) للباحث محمد محمود ضيف الله المقبل

وفي هذه الدراسة ، قسم الباحث مادته على ثلاثة فصول ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأول : الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي

الثاني : الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع

الثالث : الجملة الفعلية ذات فعل الأمر

وهذه الدراسة بعيدة عن موضوع بحثي وهدفه .

الرابعة : (التكثيف البلاغي في القرآن الكريم ،جزء عم دراسة أسلوبية) للباحث أحمد دعسان

وفي هذه الدراسة ، اعتنى الكاتب بمصطلح التكثيف وغاياته ، فتحدث في الباب الأول عن التكثيف في الصورة بأشكاله وأنواعه ، ثم انتقل في الباب الثاني للحديث عن التكثيف في الأسلوب ، معنياً بالتعريف والتنكير على وجه خاص ، كما عُنيَ في الباب الثالث بأسلوب التكرار، وتحدث في الفصل الأخير عن أسلوب الاستفهام ودلالته وأنواعه .

وبعد الاطلاع على هذه الدراسات ، وجد الباحث أنها لن تخدمه بشكل مباشر ، بل إنّ الباحث قد ابتعد عمّا جاء به الآخرون ، نأياً عن التكرار ، واجترار الموضوعات السابقة ، وتمييزاً للبحث عن غيره من البحوث .

أما مصادر البحث والكتب التي أسهمت في تكوينه فكثيرة ، تراوحت بين كتب اللغة والتاريخ والتفسير والنقد والبلاغة ، ويتصدرها بالطبع القرآن الكريم وكتب علومه وتفسيره ، ومن أهم الكتب التي رجع البحث إليها في مجال التفسير ، كتاب روح المعاني، وهو تفسير الإمام الألوسي للقرآن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكريم ، الذي وجدت فيها تفسيراً من أشمل وأفضل التفاسير للقرآن الكريم ، وكتاب البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ، الذي كان من أفضل الكتب التي بحثت في العلوم القرآنية ، فضلاً عن كتاب ابن الأثير " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر " الذي كان من أجود الكتب في مجال الأدب والبيان والبلاغة ، ولا أنسى فضل ابن منظور في مجال اللغة ، فمعجمه " لسان العرب " لا ينكر أحد فضله ، وكان له وجود في بحثي في الكثير من مراحله ، فرحمة الله على هؤلاء العظماء الذين يدين لهم كلّ باحث في مجالهم بالفضل .

ومن أهل هذا الزمن ، استعنت بكتب رائعة لولاها لما خرج البحث إلى النور ، وأخصّ بالذكر كتاب الدكتور جواد علي " تاريخ العرب قبل الإسلام " فهو موسوعة تاريخية بحقّ ، يجد فيها الباحث عن التاريخ العربيّ كل ما يخطر بباله ممّا يريد معرفته عن العرب ، وكتاب " معجم المصطلحات البلاغية وتطورها " للدكتور أحمد مطلوب ، الذي وجدت فيها مرجعا هاماً للباحث عن أي مصطلح في البلاغة ، وشمولا منقطع النظير ، وكتاب الدكتور عبد القادر الربّاعي " الصورة الفنية في شعر أبي تمّام " الذي عوّلت عليه في باب الصورة الفنية وتوضيحها في القرآن ، وكانت منه إضاءات أثرت بحثي في مجال الصورة وتحديدها وتشكيلها في البحث ، فشكرا جزيلاً لكم ، والرحمة تحلّ على من قضى منكم ، وجعل الله هذا الجهد في ميزان حسناتكم يوم القيامة .

ومن المعوقات التي صادفتني في هذا البحث ، عدم ورود أسباب النزول لكلّ آية، التي كنت أرى أنّ لها لا شكَّ دوراً في التأثير على لغة وأسلوب الكلام ، فالكلام بلغة التهديد والوعيد ، يختلف عن الكلام بلغة اللين والرفق ، والمدح يختلف عن الهجاء، واللغة تختلف تبعاً لذلك . وكذلك غياب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التوقيت الزمني الذي نزلت فيه الآيات ، فلا يُعرف وقت نزول الآية ، في أي سنة أو شهر أو فصلٍ لكلّ الآيات ، ولو وُجِد هذا لجميع الآيات والسور لخدم البحث بشكل جيد .

وكذلك واجه البحث معوقاً في قلة المراجع العربية في بعض المباحث ، كمبحث التوازي مثلاً، فقد كانت الكتابة فيه من العرب قليلة ، والمصطلح غربيّ نقِل تأثيره إلى العربية ، والمراجع لا تكثر فيه .

منهج البحث

لقد نزلت السور القصار في ظروف عسيرة تختلف كثيرا عن باقي أيام الدعوة والرسالة المحمدية ، وهي ظروف سادها الاضطهاد والظلم والعبودية والتحكّم بالآخر ، وهذه الأجواء المأزومة اقتضت أن يتكىء البحث على المنهج التاريخيّ وأساليب البحث فيه ، لاستجلاء طبيعة ما تعرض له المسلمون الأوائل ومعرفة الأجواء التي نزل فيها القرآن الكريم في أوّل عهود الدعوة ، ثمّ اعتمد البحث على المنهج الإحصائي في تحديد السور القصار بداية للبحث فيها ، ثم انتقل الباحث لاستخدام المنهج الوصفي والتحليلي لدراسة السور ولغتها وأسرار القصر فيها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هيكل البحث والدراسة

وبناء على ما سبق ، فقد قسمت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول ، تحدث الفصل الأول عن تحديد السور القصار وخصائصها وموضوعاتها وعلاقتها بالبيئة التي نزلت فيها ، وكرس الفصل الثاني لبحث التصوير الفني في السور القصار ومفهوم الصورة عند القدماء والمحدثين من العرب والغربيين ، ومن ثمّ حددّ البحث أنواع الصورة الفنية وما جاء منها في السور القصار تحديداً ، وفي الفصل الأخير انصبّ البحث على ظاهرة التوازي وعناصر تشكيلها في السور القصار ، وكيف أثرت هذه الظاهرة على بنية النص القرآني في السور القصار ، بأشكالها المتعددة .

وبعد ، فإن هذا الجهد جهد متواضع من الباحث ، أسأل الله عزّ وجلّ أن يقبله مني ، ويجزيني عليه خير جزاء ، فإن أصبت فيه فمن الله وتوفيقه ، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، فأنا أعرض للبحث في كتاب معجز ، لن ينتهي إعجازه إلى أبد الآبدين ، ورأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب ، كما قال الشافعي رحمه الله ، ويقول تعالى : { وفوق كل ذي علم عليم } (يوسف ، آية ٧٦) ، فلست أدعي العلم ، وسأبقى متعلّما إلى آخر يوم في عمري .

معاذ موسى يوسف البوريني

عمّان / أيار / ٢٠١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول :

السور القصار في القرآن الكريم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

● تحديد قصار السور

قد يتساءل المرء : كيف نميز السورة القصيرة من الطويلة ؟ وهل يكون القصر في السورة أو في الآية؟ فآية (الدين) مثلا وهي أطول آية في القرآن الكريم ، لم تأت في سورة من قصار السور ، بل جاءت في سورة البقرة .

احتار الباحث بادىء الأمر في حصر السور القصار ، وتحديد عدد آياتها ، وبعد تمعن وتفكر في كتاب الله العزيز ، الذي نعلم أن ترتيبه توقيفي من عند الله ،يقول الإمام جلال الدين السيوطي :" اختلف العلماء في ترتيب السور ، هل هي بتوقيف من النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أو باجتهاد من الصحابة ، بعد الإجماع على أن ترتيب الآيات توقيفي والقطع بذلك "[١] وجد الباحث أن جل السور القصار جمعت في جزء "عم يتساءلون " عدا سورة الفاتحة ، التي افتتح بها هذا القرآن العظيم ، وسور الطلاق والتحريم والمنافقون والجمعة والصف والممتحنة ، من الجزء الثامن والعشرين ، والسور الست الأخيرة مدنية النزول .

إن مقتضيات البحث تفرض تحديد الحد الأعلى لعدد آيات السورة القصيرة ، ونظرا لكون السور القصار بعامة ، توجد في جزء "عم يتساءلون" ، نتساءل ، هل يمكن عد سورة النبأ مثلا ذات الأربعين آية سورة قصيرة – التي هي أول سورة في الجزء ولهذا اختارها البحث – مقارنة بسورة الكوثر ذات ثلاث الآيات ؟ ومن ثم فقد قرر الباحث أن يصنع متوسطا حسابيا لعدد آيات السور القصار المجموعة في جزء " عم يتساءلون " ، ويقسم عدد آيات هذا الجزء على عدد سوره ، ليخلص

[١] ترتيب سور القرآن ، جلال الدين السيوطي ، م ٩١١ هـ . صفحة ٣١ الطبعة الأخيرة ،دار ومكتبة الهلال ،لبنان ،٢٠٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بنتيجة تؤدي إلى تحديد طبيعة السور القصار ، ومعرفة ما جازت تسميته سورة قصيرة منها . وبناءً على هذه المعادلة كانت النتيجة ،على وفق المعادلة ، ما يأتي :

عدد آيات سور جزء عم = ٥٦٤ = ١٥,٢٥ أي خمس عشرة آية

عدد السور ٣٧

لذا فإن السور القصار يحددها الباحث بأنها ما كان عدد آياتها خمس عشرة آية أو أقلّ ، وهي : " سور الشمس ،والضحى ، والشرح ، والتين ، والقدر ، والبينة ، والزلزلة ، والعاديات ، والقارعة ، والتكاثر ، والعصر ، والهمزة ، والفيل ، وقريش ، والماعون ، والكوثر ، والكافرون ، والنصر ، والمسد ، والإخلاص ، والفلق ، والناس ، والطلاق ، والتحريم ، والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون .... وهذه الست الأواخر من الجزء الثامن والعشرين ، فضلا عن فاتحة الكتاب " وبذا يكون مجموعها تسعاً وعشرين سورة .

● السور القصار وخصائصها المكية وموضوعاتها

إن الناظر، في أمر قصار السور في القرآن الكريم ، لا بد أن يلحظ أنها جاءت بمعظمها مكية ، وإن كانت سورتا النصر والبينة لدى بعض المفسرين ، كابن كثير مدنية ، غير أن موضوعها، على الرغم من ذلك ، مكي قطعا . وهذا يسوغ للباحث الحديث عن مكية هذه السور وخصائصها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولعلماء التفسير ثلاثة أقوال ، فيما يسمى بالمكي من السور، فمنهم من قال :

١ – إن المكي ما نزل قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمدني ما نزل بعد الهجرة النبوية الشريفة " وهذا التعريف جامع مانع ، روعي فيه زمان النزول ، وهو أولى من رعاية المكان " [٢]

٢ – إن المكي ما نزل بمكة ، ولو بعد الهجرة ، والمدني ما نزل بالمدينة وضواحيها كبدر وأحد ، وهنا روعي في التصنيف مكان النزول .

٣ – إن المكي ما وقع خطابا لأهل مكة ، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة .

هذه تصنيفات المكي والمدني من السور، كما قسمه العلماء ، وإن كان الميل إلى الأولى أولى ، فالرسول ، صلى الله عليه وسلم ، أمضى أكثر من نصف عمر رسالته في مكة ، والزمان عنصر مهم ، إن لم يكن الأهم في تحديد المكي والمدني ، فقد ينزل قرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكان يبعد ويختلف عن مكة والمدينة ، كبيت المقدس على سبيل المثال ، فقوله تعالى: (**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا**) [٣] نزلت ليلة أسري بالنبي صلوات الله وسلامه عليه، في بيت المقدس ، فهل أصنفها باعتبار المكان مكية أم مدنية وقد طالت المسافة ونأت بين مكانها ومكة والمدينة ؟!

[٢] دراسات في علوم القرآن ، د.محمد بكر اسماعيل ، الطبعة الأولى ١٩٩١ صفحة ٤٩
[٣] سورة الزخرف ، آية ٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولقد وضع العلماء ضوابط عامة يراعى فيها تمييز المكي من المدني من السور . وأوجز هذه الضوابط بما يأتي :

١ – كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الماضية مكية ، عدا البقرة وآل عمران .

٢ – كل سورة فيها سجدة مكية .

٣ – كل سورة فيها قصة آدم وإبليس مكية عدا البقرة .

٤ – كل سورة تبتدىء بحرف من حروف المعجم ، مثل (الم ، كهيعص) مكية عدا الزهراوين البقرة وآل عمران .

٥ – كل سورة فيها لفظ (كلا) مكية .

يقول الدكتور محمد بكر إسماعيل ، في كتابه دراسات في علوم القرآن : " وقد ذكر هذا اللفظ في القرآن ثلاثا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة ، كلها من النصف الأخير ، لأن هذا النصف نزل أكثره بمكة ، وأكثرهم جبابرة فتكررت فيه على وجه التحديد " [٤] .

● موضوعات السور المكية

موضوعات السور المكية بعامة هي موضوعات السور القصار نفسها ، فلقد انصبت السور المكية على موضوعات محددة دقيقة ، يلحظ فيها تميز عن موضوعات السور المدنية ، التي جاءت

[٤] دراسات في علوم القرآن ، د.محمد بكر إسماعيل ، صفحة ٥٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تابعة ومكملة ومفصلة لما نزل في مكة أول الدعوة ، فالقرآن المكي جاء مؤسسا ومثبتا لعقيدة رب السماء الأحد الصمد ، وأمور مجملة تفرعت فيما بعد إلى تشريعات وتفصيلات ، مناسبة للأوضاع التي نشأت على إثر ظهور نواة الدولة الإسلامية وتحقق ما يمكن أن يسمى بـ " الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي " .

وأهم الموضوعات بإيجاز هي :

١ – تقوية الأصول العقائدية وتدعيمها ، تلك الأصول التي جاءت بها الكتب السماوية السابقة ، من توحيد الإله وربوبيته . كما نقول في أركان الإيمان " الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره " وهذا ما جاء في الشرائع السماوية ، وأكده القرآن المنزل في مكة .

٢ – عني القرآن الكريم المكي بالقضاء على العادات والتقاليد البغيضة ، التي شاعت عند العرب قبل الإسلام ، كوأد البنات ، وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، والظلم ، والزنا.

٣ – استبدال العادات الحسنة ومكارم الأخلاق بالعادات البغيضة الكريهة ، التي كانت سائدة ، ومثل هذا الاستبدال حركة تصحيحية تحبها النفس السليمة الفطرة وأهل الطبائع الصافية النقية .

٤ – قصص القرآن الكريم جاء ، في السور المكية ، لترسيخ المعتقدات الجديدة لدى المجتمع المسلم الناشىء، والتذكير بالأمم القريبة ، وما حدث لها عندما كفرت بالله وأنعمه ، فوردت قصص الأنبياء والأمم الهالكة فيه على هذا النحو .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما يؤكد هذا الأمر أن الكفار اتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه استقى معلوماته من فتى رومي ، يعطيه هذه القصص . قال تعالى : (**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**)[٥] هذا ورسول الله في مكة ، فماذا لو تأخرت هذه القصص إلى ما بعد الهجرة إلى المدينة ، إذا لكان اتهامهم لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بأخذه علم أهل الكتاب أقرب للتصديق ، من قبل ضعاف النفوس والإيمان ومن كفار العرب.

وهذه القصص ، التي لا يعرفها العرب ، في تلك الفترة ، تدل على صدق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، وأن هذا القرآن وحي من الله تبارك وتعالى شأنه .

٥ – قصر معظم آياته وسوره ، ولا سيما أوائل ما نزل ، وهذا ما لا نلمسه في الآيات المدنية ، وأغلب الظن ، في رأي الباحث ، أن ما نزل في أول البعثة ، كان لقوم أغلبهم أميون لا يعرفون القراءة والكتابة يحتاجون لمنهاج بسيط يطبق أول الأمر مما يسهل تذكره وتطبيقه منهاجا لحياتهم في عبادتهم ومعاملاتهم ، ولذا جاء قصيرا في بنيته وفي آياته ، ليساعدهم على حفظه وتلاوته ،" قيل لأبي عمرو بن العلاء : أكانت العرب تطيل ؟ فقال : نعم ، لتؤكد . قيل : أكانت توجز ؟ قال : نعم، ليحفظ عنها "[٦] ، وجاء القرآن الكريم بشكل لم تعرفه العرب من قبل ، فليس القرآن شعرا قرأوه في أسواقهم ولا رجزا غنوه في خلواتهم ، فقراءته مختلفة في التلاوة ، فهم بحاجة لشيء سهل في بداية تعلمهم التلاوة وممارسة العبادات ، لذا كان قصيرا .

---

[٥] سورة النحل ، آية ١٠٣

[٦] الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، الجزء الأول ، مطبعة الهلال ، مصر ، طبعة ١٩١٣ ، صفحة ٨٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وأما السور المدنية ، فقد جاءت بموضوعات أخرى ، نذكرها بإيجاز ، لنوضح الفكرة المطروحة ، ونظهر الفرق بين موضوعات السور القصار والمكية والسور المدنية .

١ – بيان التشريعات والأحكام العقلية بالتفصيل .

٢ – ظهور تشريعات جديدة ، كالجهاد والصوم وتحريم الخمر والربا ، وما يتعلق بإدارة شؤون المجتمع .

٣ – الحديث عن المنافقين . وهذه ظاهرة لم تكن في مكة المكرمة .

٤ – مجادلة أهل الكتاب بالبراهين ، وبيان عقائدهم المزيفة المحرفة .

• علاقة قصر السور بالمكان والبيئة

نزلت السور القصار بمجملها في مكة المكرمة ، بل إن ما يقارب تسعين سورة نزلت في مكة، أي ما يزيد على ثلثي القرآن الكريم ، ومن جملتها السور القصار ، ويرى الباحث أن نزول معظم السور القرآنية في مكة له دلالة وسر يدعوان المرء إلى التفكر ليربط بين قصرالسورة والحال التي كان عليها المسلمون في هذا الوقت في مكة.

وباستعراض حال المسلمين في مكة باختصار في سني البعثة الأولى ، نجد ما يسوغ نزول السور قصارا في أول البعثة . كان المسلمون الأول مستضعفين في أرضهم ، مضطهدين في قومهم، لا يجرؤ المرء منهم على إعلان تبعيته لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، حتى لا يسوموه سوء

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العذاب، وكانوا يشعرون بالخوف والرعب النفسي الشديد ، حتى كان مكان اجتماع الرسول صلى الله عليه وسلم لتبليغهم الدعوة ، في دار على رأس جبل الصفا ، يتوارون فيها عن العيون ، هي دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ومن الغريب أنها كانت في وسط مكة ،بقرب الكعبة ، ولكن ذكاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وحسن تخفيه واختبائه جعله يختار مكانا كهذا لا يشك به أحد ، في حين كان يخلو بعبادته على رأس جبل خارج مكة ، إنهما التحوّط والتخفي اللذان يجعلان المرء شديد الحذر، فكان اختيار الرسول لدار الأرقم معلنا فيها دينه ورسالته منبعثا من حكمته وذكائه ، صلى الله عليه وسلم ، فاختيار دار قريبة من الكعبة في وسط مكة يصرف عنها شك قريش، فضلا عن أن تكون بيت رجل من قبيلة من أقوى قبائل قريش وأعزها (بني مخزوم)، الذين يكفرون بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ويعذبون أصحابه ، وكان تعبده في غار حراء على رأس جبل يخلو به إلى ربه بعيدا عن أعين قريش واضطهادها في أول البعثة ، فهل يستطيع المسلم الجديد ، في ظل هذا الترويع النفسي ، أن يحفظ كلاما طويلا بليغا ، ليس من القول الذي اعتاده ، بل هو قول إله عزيز حكيم أبلغه إلى رسوله الكريم ،ولم تتح لهذا المسلم فرصة استماعه بأمان تام ، أو تلاوته على الملأ وتناقله بين الناس كما كانوا يفعلون بأشعارهم ، أو تعليقه على جدران الكعبة ، كما ذكر عن معلقاتهم .

وهذا الحال دام سنين عديدة ، يقول سميح الزين في كتابه (خاتم النبيين) : " انقضت السنوات الثلاث الأولى من بدء الوحي، ووضع المسلمين على حاله ،لا يطرأ عليه أي تغير ، يذهبون للصلوات في شعاب مكة ، ويستخفون عن العيون في دار الأرقم ، وكان كلما دخل أحد في الإسلام أوصوه بالحرص على التكتم، وعدم ذيوع خبره ،إلا لمن يأنس عنده نفحة للإيمان ، وقابلية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

للهدى ، وقبولا بالإسلام ..." [٧] إذا الاعتماد هنا يكون على الذاكرة والحافظة ، فما علق في ذهن امرىء بقي له زادا ، وهذا يستوجب أن يكون الكلام قصيرا موجزا ، حتى يتمكن المسلمون من حفظه، إذاً نحن نعيش حالة من سرية الدعوة استمرت ثلاث سنين من البعثة فهل يستطيع المسلم أن يظهر ما يدل عليه ؟؟ أو يلفت الأنظار لدينه أو شعائره التي يتبعها ؟ فإن قبض عليه ووجدوا دليلا يثبت أنهم صادقون فيما يدعونه عليه من اتباعه لدين جديد كانت نهايته على أيديهم ، فلا يستطيع المسلم أن يكتب القرآن ويبقيه معه دليلا ضده يحسب عليه حين يشك في أمره . ومن ثم لم تتنزل عليهم سور طوال ، يرهقهم حفظها في قلوبهم وحملها في متاعهم .

كان الاستقرار مفقودا في مكة ، فلا يوجد ثمة مسجد ، أو مقر للاجتماع ، أو دار علنية تنشر الدعوة ، ويرجع إليها علنا من أراد الإسلام ، ولا يستطيع المسلمون أن يجلسوا مع نبيهم صلى الله عليه وسلم في طمأنينة ، في صحن الكعبة مثلا يتدارسون دينهم ، فمن كان له عائلة قوية تحميه لم يهلك ، أما العوام من الفقراء فلا يحميهم إلا الله، ولهذا بني المسجد في أول أيام دخول الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة ، وكان أول ما صنع فيها ، فالحال قد تغير ، وبات القوم يشعرون بنوع من الاستقرار النفسي والفكري والاجتماعي والسياسي في الابتعاد عن قريش ، فهو مكان للتخطيط والدعوة ولقاء النبي والعبادة .

[٧] خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، سميح عاطف الزين ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٦، صفحة ٣٥٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

● السور القصار والبيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية

إن الباحث عن أمر السور القصار ، في القرآن الكريم ، بهدف الكشف عن أسرار هذه السور وأسباب قصرها ، لا بد أن يلحظ في دراسته ما يربط هذه السور بالبيئة المحيطة بها ، والظروف التي نزلت فيها .

رأينا إن قصار السور ، في القرآن الكريم ، التي صنف ورتب جلها في جزء " عم يتساءلون " عدا سورة الفاتحة ، سور مكية النزول والموضوع ، فأغلب سور جزء " عم " مكية باستثناء سورتي (البينة والنصر) مع ملاحظة أن سورة النصر التي نزلت في زمان مدني ، مكية المكان ، فقد نزلت في منى أي في نواحي مكة ، ولاحظ الباحث ست سور مدنية ، من قصار السور، وجدها في الجزء الثامن والعشرين من كتاب الله ، وهي سورة المنافقون ، مدنية وآيها إحدى عشرة ، وتتحدث عن المنافقين بالطبع ، وهؤلاء القوم لم يوجدوا في مكة من قبل ، وسورة الطلاق وآيها اثنتا عشرة ، وتتحدث السورة عن الطلاق وكيفيته وما يترتب عليه من عدة ونفقة ، وهذا ما يؤكد رأي الباحث من أن التشريعات والتفصيلات الدنيوية لم تكن لتفصل في ظل الاضطهاد في مكة وفي ظل الإرهاب النفسي الذي عاناه المسلمون .

أما سورة التحريم وآيها اثنتا عشرة أيضا ، نزلت في أمر نساء النبي ، الذي لم تكن هذه الحادثة ، لتحصل له في مكة ، حيث أنه لم يكن قد تزوج غير أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، رضي الله عنها ، في ذلك الوقت ، وسورة الممتحنة نزلت قبل فتح مكة ، في امتحان الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، للنساء المهاجرات من مكة إلى المدينة ، قبل أن يفتحها بساعات ، وإعلام حاطب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بن أبي بلتعة ، رضي الله عنه ، لقريش بغزو النبي لهم ، مع جارية تسمى سارة ، حتى يكون له يد عليهم .وأما سورة الصف فنزلت في المنافقين وادعائهم حب القتال ، ولكن الله كذبهم وهم لم يوجدوا إلاّ في المدينة .وسورة الجمعة نزلت في المدينة كذلك ، ولم يكن يتسنّى للرسول وأصحابه أن يصلوا الجمعة ، فكانت أول صلاة جمعة في المدينة بعد الهجرة .[٨]

ولو لاحظنا حجم الآية في تلك السور الثلاث المدنية لوجدناها أكبر من مثيلاتها في السور المكية ، فعلى سبيل المثال ، سورة الضحى تتكون من إحدى عشرة آية، ولكن عدد كلماتها بالمجمل أربعون كلمة ، وهي سورة مكية ، أما سورة المنافقون التي عدد آيها كذلك إحدى عشرة آية فعدد كلماتها مائة وثمانون كلمة ، وهي سورة مدنية ، لقد تضاعفت الكلمات بنسبة ٤٥٠% وحصل هذا في سورة قصيرة ، فسبحان الله ! فمعظم هذه السور القصار التي نزلت في مكة جاءت مراعية – في ما يبدو – لأحوال العرب والمسلمين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

ولقد تراءى للبحث أن نزول سورة المسد في السنة الثالثة للبعثة ، كان بسبب حادثة جرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عندما جمع قريشا لدعوته لدين الله ، فأغلظ له أبو لهب بالقول أمام قريش" فقام ينفض يديه وهو يقول : تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ " [٩] كان هذا بعد أمر الله للرسول بأن ينشر الدعوة على الملأ . ويقول معظم المفسرين إنها كانت السورة السادسة في النزول ، وهذا يعني أن المسلمين كانوا يتعبدون في أول البعثة ولمدة خمس سنوات بخمس سور هي : " العلق، والقلم ، والمزمل ، والمدثر ، والفاتحة " ، وهذا يؤكد ما يعرضه الباحث ويحاول إثباته من

[٨] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، محمود بن عمر الزمخشري ، الجزء الرابع ، دار الكتاب العربي ، بيروت ٢٠٠٨ ، صفحة ٤٠٢

[٩] تفسير القرآن العظيم ، أبوالفداء اسماعيل بن كثير ، الجزء الرابع ، دار الجيل،بيروت ،الطبعة الثانية، ١٩٩٠، صفحة ٥٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن السور القصار راعت حال المسلمين المضطهدين الضعفاء ، وحال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وتخفي دعوته ، ويلاحظ أن فكرة التوحيد قد سيطرت على تلك السور القصار مراعاة لأولوية التبشير والدعوة ، وإن قال أحدهم أيعقل أن يتعبد القوم لما يقارب ثلاث السنوات بهذه السور القصيرة فقط ؟ قلنا إن هذه السور القصار قد ثبت في كتب التفاسير نزولها كاملة في ذاك الزمان ، وهذا لا ينفي نزول بعض آيات متقطعة في الوقت نفسه ولم تكمل بوصفها سورة تامة ، فقد كان الرسول يرتب السور والآيات بأمر من الله يعلمه إياه جبريل عليه السلام ،فقوله تعالى : (**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**)[١٠] آية من سورة الحجر نزلت ، ورتبها النبي لاحقا في السورة ، وهذا ما لمسه البحث أيضا من قول عتيبة بن أبي لهب لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بعد نزول سورة المسد ، التي نزلت سادس سورة في السنة الثالثة للبعثة كما عرفنا ، إذ أمر أبو لهب ولده عتيبة بتطليق أم كلثوم بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال :" لآتين محمدا وأوذينه فأتاه فقال يا محمد : إني كافر بالنجم إذا هوى ، وبالذي دنا فتدلى ، ثم تفل أمام النبي صلى الله عليه وسلم ، وطلق ابنته " أم كلثوم " فغضب صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليه فقال : " اللهم سلط عليه كلبا من كلابك " فافترسه الأسد " [١١] ، ومقولة عتبة مقتبسة من سورة النجم التي يذكر محمد عزة دروزة في التفسير الحديث للقرآن والترتيب فيه للسور بحسب زمن النزول أنها نزلت السورة الثالثة والعشرين في القرآن وهي مكية بالطبع ، فلا مانع في ما يبدو من أن تكون هناك بعض الآيات التي نزلت في ثلاثة الأعوام الأولى مع السور الست المتفق على نزولها أولا.

[١٠] سورة الحجر ، آية ٩٤

[١١] صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٩٨١ صفحة ٦١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومما يلاحظ في أمر السور القصار ، أن هذه السور القصيرة التي نزلت بمكة المكرمة أنها لم تكن من السور التي حدث فيها النسخ ، يقول الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن : " اعلم أن سور القرآن العظيم تنقسم بحسب ما دخله النسخ وما لم يدخل إلى أقسام : أحدها : ما ليس فيه ناسخ ولا منسوخ ، وهي ثلاث وأربعون سورة : وهي الفاتحة ، ثم يوسف ، ثم يس ، ثم الحجرات ، ثم الرحمن ، ثم الحديد ، ثم الصف ، ثم الجمعة ، ثم التحريم ، ثم الملك ، ثم الحاقة ، ثم نوح ، ثم الجن ، ثم المرسلات ، ثم النبأ ، ثم النازعات ، ثم الانفطار ، ثم المطففين ، ثم الانشقاق ، ثم البروج، ثم الفجر ، ثم البلد ، ثم الشمس ، ثم الليل ، ثم الضحى ، ثم الانشراح ، ثم القلم ، ثم القدر، ثم الانفكاك ، ثم الزلزلة ، ثم العاديات ، ثم القارعة ، ثم ألهاكم ، ثم الهمزة ، ثم الفيل ، ثم قريش ، ثم الدين ، ثم الكوثر ، ثم النصر ، ثم تبت ، ثم الإخلاص، ثم المعوذتين ." [١٢]

وهنا يظهر البحث أن معظم السور القرآنية القصيرة لا ناسخ فيها ولا منسوخ ، فإحدى وعشرون سورة من التي حددها البحث بقصار السور لا ناسخ ولا منسوخ فيها وهي :

(الفاتحة ، والشمس ، والضحى ، والشرح ، والقدر ، والزلزلة ، والعاديات ، والقارعة ، والتكاثر (ألهاكم) ، والهمزة ، والفيل ، وقريش ، والماعون (الدين) ، والكوثر ، والنصر ، والكافرون ، والمسد ، والإخلاص ، والفلق ، والناس ، والبينة أو ما أسماها الزركشي بالانفكاك) ، فهي تأتي بمعلومات وموضوعات ثابتة راسخة ثبوت هذه العقيدة التي دعا إليها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن تلك السور كذلك من السور التي احتوت على آيات اختلف في تفسيرها ، ويضيف

[١٢] البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ، المجلد الثاني ،دار الفكر ، بيروت ،طبعة ١٩٨٨ ، صفحة ٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الزركشي :" ما فيه ناسخ وليس فيه منسوخ ، وهي ست سور : الفتح ، والحشر ، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، والأعلى ." [١٣] وهنا وجد الباحث سورتين أخريين من القصار أيضا ، جاء فيها الناسخ وهي مدنية لا مكية ، فلم ينسخ منها شيء بل نسخت هي آية أخرى في سورة أخرى ، وبقيت ثلاث سور من القصار بالنسبة للناسخ والمنسوخ ، فأما التين والكافرون ففيهما منسوخ وليس فيهما ناسخ ، وأما العصر فاجتمع فيها الناسخ والمنسوخ ، ومن هذا كله يظهر أن الآيات القصار المكية ، نزلت بقضية خاصة هي توحيد الله ، فلم يحدث النسخ فيها بكثرة ، فأغلبها لا نسخ فيه ، وكأن الله عز وجل راعى عدم تقبل النسخ في عقول ضعاف الإيمان أو الكافرين في بداية البعثة ، فانتظر حتى يقوى الإيمان شيئا فشيئا ، ويثبت رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وأتباعه، وتضعف فرصة تكذيبهم من قبل قريش والكافرين وأتباعهم .

وقد تبين أن السور التي وجد فيها النسخ من القصار كانت مدنية ، أو نزلت بعد الهجرة كسورة العصر ، فهي مكية ولكنها نزلت بعد الهجرة بسنين عديدة ، و سورة الطلاق وسورة المنافقون مدنية ، فهذه السور القصار نزلت بنسق يعين المسلم على حاله الصعب في أول البعثة ، لا يختلف الأصحاب في تفسيرها عند نقلها لغيرهم وإخبار فحواها لمن يلمسون فيه ميلا للدخول في الدين الجديد .

ومما يؤكد هذا أيضا ، أن الباحث عندما نظر فيما اختلف المفسرون في تفسيره، من آيات القرآن الكريم ، لم يلحظ اختلافا عند المفسرين أو خلافا في تفسير آيات السور القصار ، التي حددها

[١٣] المرجع نفسه ، صفحة ٤٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحث ، وقد وجد الباحث اختلافا في تفسير بعض آيات الصفات الإلهية وغيرها ، مكية كانت أم مدنية ، ولكنه لم يجد ذلك الاختلاف في تفسير السور القصار وآياتها ، وكأن التنزيل العزيز راعى عدم إشغال المؤمنين الجدد بأمور تفصيلية دقيقة تلهيهم عن الإبلاغ السريع لدعوة الله تبارك وتعالى.

أولا : اجتماعيا

كان العرب عند نزول القرآن أهل كفر وشرك ، ما أدى إلى تقطع الأرحام بينهم، وسيادة القوي وتجبره على الضعيف ، وفشو الظلم والاضطهاد الذي عاناه الناس مسلمين كانوا أو كفارا ، فقد كان القوي منهم يأكل الضعيف ، والسيد فيهم يذيق العبد أشكال الذل والهوان ، وكانت المرأة فيهم تورث كالمتاع ، فنكاح المقت معروف عندهم، وقد ذكره الله في كتابه العزيز عندما قال عز من قائل: (**وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَمَقْتاً وَساءَ سَبِيلاً**)[١٤] وكان المجتمع منقسما إلى طبقتين : طبقة الأحرار الصرحاء ومواليهم ، وطبقة العبيد ، وكان الوأد ظاهرة معروفة عندهم بسبب الفقر أو خوفا من أن يلحقهم عار السبي في الغزو .

وكان عرب الجاهلية قوما يتفاخرون بالشعر ، ويكرمون الشعراء ، فللكلمة عندهم سطوة ونفوذ ، فكيف إذا نزل قرآن من السماء يفوق ما عرفوه من بلاغة وفصاحة ، ويتحداهم في ما برعوا فيه أن يجاروه ، فقصار السور خير دليل على أن مفهوم البلاغة في عقل العربي ، مطابقته

[١٤] سورة النساء ، آية ٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمقتضى الحال ، كما يعرفها القزويني " البلاغة في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته " [١٥] ومقتضى الحال في مكة ، يتطلب معجزة بيانية تفحم قريشا بما برعت فيه من فصاحة وبلاغة ، وتقيم الدليل البياني على أن الله واحد لا شريك له ، وتراعي في الوقت نفسه حال المسلمين المضطهدين الذين لا يستطيعون حفظ الكثير من الآيات الطوال ، في ظل التعذيب والمطاردة والاضطهاد ، الذي يعيشونه في مكة ، وتأخذ بالحسبان أيضا حال قريش البليغة الفصيحة ، التي تعالت بلغتها على لغات من حولها فبرعت في الشعر والخطابة، وصارت تجيز وتحكم في أشعار العرب فإن أعجبها بيت أو قصيد ذاع وانتشر ، وإن رفضته باد واندثر .

إن نزول السور قصيرة في أول سني البعثة المحمدية، أثبت لقريش وعتاة العرب أن هذا الكلام معجز ببلاغة لا يستطيعها بشر كائنا من كان ، بلاغة فاقت بلاغتهم ، فإن قالوا : " خير الكلام ما قل ودل " فهذا كلام أخير من كلامهم وأقل وأدل فأتوا بمثله إن استطعتم !! وهو بكل تأكيد كلام وافق حال الناس المستضعفين من المسلمين وحال الكفار وأهل ذاك الزمان عامة وما كانوا عليه من فصاحة وبلاغة ، فعجز شعراؤهم وخطباؤهم عن مجاراته .

وعلينا أن لا نغفل الظروف الخاصة التي أحاطت بدعوة الرسول بادىء الأمر من سرية للدعوة ، فلقد بقي رسول الله ،صلى الله عليه وسلم ، ثلاث سنين يدعو إلى الله سرا ، من يثق به ، ويأمن غدره ، ويرى فيه رجاحة العقل والأهلية لفهم الدعوة ، يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه " تاريخ الإسلام " : " استمر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ثلاث سنين يدعو سرا إلى

[١٥] الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،(د . ت) صفحة ١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإسلام كل من يثق فيه ويطمئن إلى استعداده النفسي لقبول دعوته . وكان هو وأصحابه في تلك الفترة يستخفون من قريش في صلاتهم وفي الدعوة إلى هذا الدين " [١٦].

وبعد مرور ثلاث سنين أخر ، وعندما أسلم عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، في سني الدعوة الجهرية ، في السنة السادسة للبعثة ، كان تمام الأربعين من الرجال المسلمين في مكة ، هذا بعد مرور ست سنوات على الدعوة ، وذكر هذا الأمر كثير من المصادر ، " أسلم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه ، بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة " [١٧] ويقول آخر :" أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعزز الله به ضعفة المسلمين وكان إسلامه متمما لأربعين ، وبقدر شدته التي كانت على المسلمين ، صار بأضعاف ذلك على المشركين " [١٨] فإن كان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قد أسلم بعد ستة أعوام وكان الأربعين ، فهذا دليل على صعوبة كسب الناس ، ودليل الجهد الذي بذله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، في إقناع الرجل بالإسلام ، من هنا نتبين حجم الخطورة والقهر والتعذيب الذي تعرض له المسلمون الأوائل وتحملوه في سبيل الدعوة لله ، وهذه الدعوة السرية كانت تستوجب التخفي والتستر عن أعين أعدائهم الكفار ، فسرية الدعوة تلزم بعدم حمل ما يثير الشبهة من أدوات ، وهذا يفضي بنا إلى تخيل حال المسلمين المتخفين الهاربين من قريش وبطشها حتى أذن لهم الرسول بالهجرة إلى الحبشة ، فهذه فاطمة بنت الخطاب ، رضي الله عنها ، عندما دخل عليها أخوها عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، تخفي رقاعا فيها

---

[١٦] تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، د.حسن إبراهيم حسن ، الجزء الأول ، دار الأندلس ، بيروت، صفحة ٨١

[١٧] الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر القرطبي .الجزء الثالث ، تحقيق الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، لبنان بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٥، صفحة ٢٣٦

[١٨] بهجة المحافل وبغية الأماثل ، عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري ، متوفى ٢١٩ هـ ، المجلد الأول ، دار صادر ، بيروت، صفحة ١٠٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سورة طه مكتوبة فتجلس عليها ، فيلطمها ويدميها وهي أخته ، تخبيء الرقعة عن أخيها ، يا للعجب! حالهم مازال كما هو في السنة السادسة للبعثة ، حال هروب ، وخوف ، وكتم لإسلامهم عن أعز أهلهم والإخوان ، وتخفٍ دائم .

وبما أن المسلمين كانوا قلة مستضعفين في أرض الله عامة ومكة خاصة ، فلم يقتض الحال تفصيلا وتشريعا من الله للمسلمين في مكة ، بل انصب الأمر وركزت الآيات على توحيد الله والأمر بعبادة إله واحد بدل آلهة متعددة .

وكانت السور قصارا في ذلك الوقت إمعانا في إعجاز قريش – مع أن القرآن كله معجز – وإحراجا لهم لعلهم يعقلون ، ومراعاة من الله لمقتضى حال المسلمين الجدد المستضعفين الذين لا يستطيعون الجهر بالقرآن ، ويصلون خفاءً وستراً عن عيون الناس ، في حالة من المطاردة الدائمة سرا وجهرا ، تكيل لهم قريش الويل والثبور ، فحال المسلمين لم يستقر بعدُ ، حتى يكون في الوحي كثير من التفصيل والإطالة .

- **ثانيا : اقتصاديا**

كانت الحرفة السائدة في مكة ، في زمن بعثة النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم، حرفة التجارة ، فالعرب يتجرون بأموالهم في تجارة ممتدة إلى الشام شمالا ، وإلى اليمن جنوبا ، والحبشة غربا ، ذكرها الله في كتابه العزيز برحلة الشتاء والصيف ، وهذا حال أهل مكة ، أما العرب خارجها، فكانوا يعملون في الرعي كما يعمل غالب البدو في الصحراء ، مما قسم المجتمع إلى غني تاجر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفقير عامل ، وتذكر كتب السيرة أن معظم المسلمين في أول بعث النبي الكريم ، عليه الصلاة وأشرف التسليم ، كانوا من الفقراء لا من الأغنياء ، فما حاجة هؤلاء أول البعث لتشريع يتعلق بالمال أو الزكاة والصدقات ، وهم ممن لا يملكون قوت يومهم ، وهم الأجدر بالتصدق عليهم والإنفاق !! والفئة الأخرى فئة غنية مرابية مبتزة لخير الناس ، قد ينفرون من الدين بمجرد ذكر ما يوجب عليهم دفع مالهم للفقراء زكاة ، فهذا أمر يتطلب من الرجل قوة إيمان حتى يقوم بإخراج ماله لمن كان يحتقرهم لسنين كثيرة ، فكما حرم الخمر على مراحل جرى الأمر مع التشريعات على النحو نفسه .

إن الأحكام المفصلة تحتاج إلى زمن يقوى فيه الدين في قلوب الناس ويرسخ فيها الإيمان ، وتتوسع فيه العلاقات الاقتصادية بادىء الأمر بين المسلمين وغيرهم ، حتى تستدعي التشريع الاقتصادي المفصل ، فلا دولة قائمة للمسلمين تجمعهم ، ولكن هذا ما حدث عندما هاجر المسلمون إلى المدينة ، وأنشأوا علاقات مع اليهود وغيرهم اجتماعية واقتصادية وسياسية .

إذا أردنا التفكر أكثر في حال المسلمين والدعوة في الزمن المكي ، فإننا سنجد أن الله اختص تلك الفترة من الدعوة بالسور القصار حتى لا يشغل المسلمين بأمور تفصيلية تلهيهم عن الإبلاغ السريع لفحوى دعوة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فالمهمة الأولى والأولى دائما هي تبليغ الرسالة الموحدة في ظل الكفر الطاغي ، هذه واحدة ، والثانية أن المهمة التبشيرية عادة لا تتناول تفاصيل الحياة الاقتصادية لأناس لم يدخل الإسلام في قلوبهم بعد ، بل هذا ما يجب بعد أن يؤمن القوم ، فمبدأ الأولويات قائم في ديننا وسنة نبينا التي لا ينطق فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن الهوى ، فكما حرم الخمر في مراحل ، وأذن للمسلمين بالجهاد في مراحل كذلك ، نزل القرآن

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على مراحل راعت الحال والأحوال ، فبدأت قصيرة وأخذت تطول بعد أن رسخ الإيمان في القلوب شيئا فشيئا واستقر الأمر لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

- **ثالثا : سياسيا**

التزم العرب في مكة جانب الحياد في الحروب الدائرة بين الفرس والروم ، فتركوها مستعرة بينهم ، ورفضوا الانضمام لأي الفريقين ، كما فعل المناذرة شرقا والغساسنة شمالا ، وساعدهم على ذلك بعد الأرض وجغرافية المكان وقلة الموارد التي جعلت أيا من الفريقين لا يطمع في أرض العرب، الذين كثيرا ما كانوا يرتحلون عن أرضهم الجدباء ، بحثا عن الكلأ والماء ، فلا وحدة سياسية لهم ، ولا يوجد ملك يحكمهم، أو يهدد غيره من الممالك ، يقول أحد الشعوبيين : " ولم يكن للعرب ملك يجمع سوادها ، ويضم قواصيها ، ويقمع ظالمها وينهى سفيهها ، ولا كان لهم قط نتيجة في صناعة ولا أثر في فلسفة إلا ما كان من الشعر " [١٩] فجاءت الآيات والسور قصارا لا تقتضي التشريع السياسي المفصل ، الذي لا يحتاجه المسلمون في هذا الوقت تحديدا، فلا دولة تضمهم ولا ملك يحكمهم ولا علاقات سياسية مع غيرهم تحتاج لتفصيل ، كما حدث بعد الهجرة ، وإن وجد لهم بعض الأحلاف أو المعاهدات فسرعان ما ينحل هذا الحلف لأوهن الأسباب ، طمعا في مالٍ ، أو منصبٍ أو مكانة اجتماعيةٍ إن قوي بعض الأطراف على بعض ، " فالقبيلة هي الوحدة التي انبنى عليها كل نظامهم الاجتماعي ، وهذه القبائل في نزاع دائم ، وقد تتحالف القبيلة مع قبيلة أو قبائل أخرى للإغارة

[١٩] العقد الفريد ، ابن عبد ربه أحمد بن محمد الأندلسي ، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ١٩٨٣، صفحة ٣٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على حلف آخر ، أو لرد غارة أو نحو ذلك من الأغراض ، وقد تمر الأجيال وتنسى القبائل المتحدة أسماءها وشخصياتها وتنضم تحت اسم واحد هو اسم أقواها " .[٢٠]

ويذكر الكتور جواد علي حال العرب السياسية قائلا : "قام النظام السياسي في جزيرة العرب على العصبية ، التي تبلغ ذروتها في العصبية للقبيلة . والعصبية للقبيلة هي القومية بالقياس إلى العرف البدوي . وتتوسع هذه العصبية أو القومية الأحلاف ، فتشمل القبائل والعشائر المتحالفة بالنسب أو بالجوار والداخلة في " الحلف " . ويضيف ومجتمع هذا شأنه مبني على أساس العصبيات المتعددة ، لا يمكن أن تظهر فيه نزعة قومية ،أو فكرة إنسانية أممية ، لأن الوعي السياسي فيه ضيق محدود لا تتجاوز حدوده حدود القبيلة في الغالب أو حدود القبائل المنتمية إلى الجد . فقوميتها قومية ضيقة . وجنسيتها جنسية النسب ." [٢١]

فهذا الحال لا يحتاج لتشريع وتفصيل وإطالة ، في أول البعثة في مكة ، بل إن طبيعة التبليغ الذي يحتاجه المسلمون في ذلك الوقت ، وسرعته المطلوبة ، لا تكون بسور طوال يعجز الشخص عن نقلها وتبليغها لإخوانه بالسرعة المناسبة ، فكما يتحدث أفراد الجيوش والجنود بكلمات مختصرة مؤدية للمعني ، أو برموز خاصة فيما بينهم ، كذلك كان الحال مع المسلمين في بداية الدعوة ، فهم بحاجة لشيء سهل النقل والتبليغ ، يسهل حفظه ، وإيصاله لمن يريد ويرجو فيه الهداية .

إن بعض الأحاديث الطويلة بين الأشخاص مدعاة للشك والريبة ، وهذا يؤذي الدعوة ويرهق أصحابها وأفرادها ، فلو فرضنا على سبيل المثال أن عبدا من عبيد سادات قريش – الذين دخل

[٢٠] فجر الإسلام ، أحمد أمين ، صفحة ٥ ، مطبعة الاعتماد ١٩٣٨
[٢١] تاريخ العرب قبل الإسلام ، د. جواد علي ، ج ٤ ، ص ٢١٣-٢١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكثير منهم في الإسلام وكان لهم السبق – يجري حديثا مطولا مع غيره ، سيدا كان أم رجلا عاديا ، فإنه سيثير الريبة والشك في قلب سيده ، وسيستجوبه استجوابا دقيقا ليعرف ما يدور حوله ، فقد يأتمر الرجل به ليقتله مثلا ، خاصة وهم يسومون عبيدهم العذاب والهوان ، ولا يحترمونهم ولا يعنون لهم شيئا ذا بال ، فكيف ستنزل سورة كالبقرة مثلا بما فيها من تفصيل يقتضي إيصالها للناس آنذاك، كما يقتضي أن يتبعها شرح طويل .

إن الظروف السياسية ، السائدة في زمن البعثة في مكة ، لم تكن تتيح للمسلم أن يمارس شعائر عبادة ربه وإيصال رسالته على أتم وجه ، فالمطاردة والملاحقة من قريش للمسلمين الجدد المتهمين بتغيير دين الآباء والأجداد ، كانتا على أشدهما ، ملاحقة قد تكون لأعز ما يملك المسلم ، قرآنه ، فمن الأفضل أن يبقى في الصدور حينا، لا أن يوضع في القراطيس والجلود ، فيهلك بسببه المؤمنون بداية فيضعف الدين ويذهب أمره .

لقد خفف الله عن المسلمين بسور قصار يسهل حفظها مراعاة لحالهم ، ولمهامهم الجهادية – إن أمروا بها في أي لحظة – التي تستدعي التخفف ، وهل يعقل أن يترك المؤمن سورة من القرآن نقشها على حجر، وراءه إن أمر بقتال ، أو نصرة نبي ، يتركها للمشركين لينجسوها ؟! لقد رأينا المشركين في زماننا كيف ينجسون ويمزقون المصاحف في الدول التي يحتلونها ، في العراق وأفغانستان وغيرهما ، وما هم إلا أنموذج لكفار كل عصر .

كان الخوف سيد الموقف ذاك الزمن ، فلو نظرنا في قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لوجدنا في الكثير من المراجع وكتب السير ما يثبت خوف المسلمين من عمر بن الخطاب

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عند مجيئه ليعلن إسلامه ، إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم، عندما قام أحد المسلمين لينظر من الطارق ، فإذا به يرى من خلل الباب عمر بن الخطاب فيصاب بالفزع ، فيخاطب الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، قائلا " إنه عمر بن الخطاب متوشحا سيفه " وهذا يدل على خوف المسلمين الضعفاء من سفير قريش في الجاهلية عمر ، ولكن الله شد أزر المسلمين قبل تلك الحادثة بأسد الله حمزة بن عبد المطلب ، رضي الله عنه ، فيجيب حمزة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " فأذن له، فإن كان يريد خيرا بذلناه له وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه " [٢٢] وهذا كان في السنة السادسة من البعثة ، وعلى الرغم من ذلك كانت حالة الخوف والتخفي والاستتار عن الناس قائمة ، لقد مثلت هذه الحادثة دليلا على انعدام الأمن النفسي والفكري للمسلمين في مكة ، فهم يختبؤون في دار الأرقم ليتحدثوا بأمر دينهم وتعاليم رسالتهم ، بصوت خافت ، يخافون في كل لحظة مجيء غريب أو لمكتشف سرهم ينبيء قريشا فتغير عليهم ، فإذا كانت السور طوالا تحتاج الكثير من الشرح والتفسير من النبي الكريم ، صلى الله عليه وسلم .

رابعا : ثقافيا

لم يكن العرب في الجاهلية على قدر يذكر من مقومات الحياة الثقافية والعلمية ، عدا ما يتصل من ذلك بالشعر وروايته والخطابة وإتقانها ، على الرغم من ذلك لم يكن الرجل عندهم ليكمل إلا إذا أتقن القراءة والكتابة ،يقول ابن الجوزي في حديثه عن سعد بن عبادة ، المعروف بأبي ثابت

[٢٢] خاتم النبيين ، محمد أبو زهرة ، الجزء الأول ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ١٩٧٢، صفحة ٤٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخزرجي :" كان يكتب في الجاهلية ،وكانت الكتابة في العرب قليلا ، وكان يحسن العوم والرماية ، وكان من اجتمع له ذلك يسمى الكامل " [٢٣] " وقد ذكر الأخباريون أن الرجل إذا كان شاعرا شجاعا كاتبا سابحا راميا دعي " الكامل "ولذلك عرف سويد بن الصامت الأوسي بـ" الكامل "لوجود هذه الخصال فيه " [٢٤] وهؤلاء قلة في أمة وصفها الله تعالى بالأمية في قوله تعالى : " هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين "[٢٥] يقول الزمخشري في كشافه :" الأمي : منسوب إلى أمة العرب ، لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون بين الأمم .... ومعنى " بعث في الأميين رسولا منهم " بعث رجلا أميا في قوم أميين ، كما جاء في حديث شعياء : إني أبعث أعمى في عميان ، وأميا في أميين " [٢٦] فنزلت السور قصارا حتى يسهل حفظها وترتيلها وتنتشر بين أناس لا يعرفون القراءة والكتابة ولا يملكون أدواتها ، وهذا أدى إلى عدم شيوع التدوين في هذا الوقت من زمن البعثة ، يقول الدكتور عبد الحميد جيدة : "وكان العرب في الجاهلية يكتبون على جريد النخل وعظام الأكتاف والأضلاع من الشاة والإبل ، وظل العرب فيما بعد في العصر الإسلامي الأول يكتبون على سعف النخيل والكرانيف وهي حجارة عريضة رقيقة ناعمة ، كما كتبوا على الرقاع وعلى قطع الأديم وهو جلد الحيوان الطبيعي وبخاصة جلود الظباء "[٢٧] وهذه الأدوات صعبة الاستخدام ، ترهق وتتعب من يعمل بها أو يكتب عليها ، فحرفة كهذه جد شاقة، غير رائجة ولا مربحة ، يذكر الدكتور علي الجندي في كتابه " في تاريخ الأدب الجاهلي " ، " كما

---

[٢٣] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، المتوفى ٥٩٧هـ ، المجلد الرابع ، الطبعة الأولى ١٩٩٢ ، دار الكتب العلمية بيروت ،صفحة ١٩٨

[٢٤] تاريخ العرب قبل الإسلام ، د. جواد علي ، ج٤ ص ٢١٧

[٢٥] سورة الجمعة ، آية ٢

[٢٦] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، محمود بن عمر الزمخشري ، الجزء الرابع ، دار الكتاب العربي ، بيروت ٢٠٠٨ ، صفحة ٤٠٠

[٢٧] إنشاء الكتابة عند العرب ، عبد الحميد جيدة ، منشورات دار الشمال ، الطبعة الأولى ١٩٨٦ ، صفحة ٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أن أدوات الكتابة كانت الحجارة والجلود والسعف وأمثالها مما لا يحبب الكثير في مزاولتها ، ومن ثم كان الاعتماد الأساسي في حفظ الآثار وتسجيلها يقوم على الذاكرة والترديد الشفهي ، ويتابع ... كانت الكتابة موجودة ومعروفة لديهم ولكنها كانت بنسبة قليلة قد تصل إلى حد الندرة أحيانا ، فكانت غالبية الشعب لا تعرف القراءة والكتابة وبخاصة بين البدو سكان الصحراء ، وذلك لأن ضرورات الحياة ، ومشاغلها ، والسعي لطلب الرزق والقوت كانت تستغرق كل أوقاتهم أو جلها ، فلم يكن لديهم فراغ يجلسون فيه منذ الطفولة ليتعلموا القراءة والكتابة ، ثم إن وسائلها من الجلود والعظام وسعف النخيل ، وقطع الخشب وأمثالها كانت غير ميسرة ، ولا تحبب في استعمالها والاهتمام بها لكي يسجلوا بها كل آثارهم " [٢٨] نستشف من قول الجندي ، أن وجود فقراء معدمين لا يجدون بضع تمرات تقيتهم في اليوم والليلة ، يسعون في طلب قوت يومهم جل وقتهم، لا يوجد عندهم وفر مال أو قوت ، يبعد الناس عن القراءة وأدواتها غير المتوفرة كثيرا ، وهي باهظة الثمن قطعا ، وإن وجدوا هذه الأدوات فحفظها من التلف صعب ، وتخزينها صعب لأناس مطاردين مضطهدين في مكة ، وهم قلة، ونجد هذا واضحا في قول الدكتور جواد علي : " ومرد السبب في عدم وصول شيء من الكتابات المدونة على تلك المواد ، إلى قابلية هذه المواد للتلف ، وحاجتها إلى العناية الشديدة ، بدليل عدم وصول شيء ما من الكتابات المدونة على الجلود وعلى جريد النخل ، وعلى اللخاف والعظام والقراطيس من صدر الإسلام ومن أيام الرسول خاصة مع أهميتها وقدسيتها . وليس في استطاعة أحد أن ينكر أن القرآن الكريم قد كتب هذه (كذا)* المواد المذكورة ، وأن الرسول قد أمر فكتبت له

[٢٨] في تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي ، طبعة دار التراث الأولى ١٩٩١، صفحة ١٤٠
*هناك خطأ مطبعي ، الصواب "على هذه المواد المذكورة "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عدة كتب وعقود ومواثيق ، ولكن بادت أصولها . " [٢٩] ويظهر للباحث أن الكتابة كانت في فئة ليسوا من فقراء أو ضعاف القوم ، فأبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ،وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب، وعامر بن فهيرة ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وخالد بن الوليد ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، وأبو سفيان بن حرب ، وعبد الله بن رواحة ، والأرقم بن الأرقم الزهري ، والمغيرة بن شعبة ، والزبير بن العوام ، كلها أسماء وردت عند القلقشندي في كتابه " صبح الأعشى في صناعة الإنشاء " تعد من خيرة قبائل العرب وأشرفهم وأغناهم ، وهذا ما يدل على أن الكتابة والقراءة كانت حكرا على قوم أغنياء أو أشراف نوعا ما ، وليسوا بالبسيطين في قومهم ، فلهم مكانة مادية أو اجتماعية أو عقلية ، وهذا ما دعا النبي ، صلى الله عليه وسلم،لأن يطلب فداءَ أسرى بدر من المشركين أن يعلموا عشرة من صبيان المسلمين .

لقد كان قصر السور مزية لحياة المسلمين الأوائل بكل جوانبها ، يظهر ذلك من قول الدكتور عبد الحميد جيدة عن الرواية ، التي تستلزم الحفظ للنقل عند أناس لا يقرؤون ولا يكتبون " إن الرواية كانت أكثر نفعا للناس من التدوين لأنها تحركهم وتنشطهم وتدفعهم بالقوة التخييلية الكامنة في النص المروي المحفوظ في الصدر نحو الفعل . إن النص الأدبي أو العقائدي عندما ينقل من صدر إلى صدر ينقل معه تخيله ، وبهذه التخاييل الإنسانية تتحقق الوحدة الروحية في المجتمع من خلال رواية النص الواحد ... ويضيف " إن المسلمين عندما كانوا في عصر الرواية حيث كان النص يستوطن في الصدور ، لا الورق ، كانوا أعظم إيمانا وأقوى اندفاعا وتحمسا وأكثر انتصارا وانتشارا من عصر التدوين . إن التواصل الحقيقي في المجتمع العربي الإسلامي ما تم إلا بالرواية والمشافهة

[٢٩] تاريخ العرب قبل الإسلام ، د. جواد علي ، الجزء السايع، صفحة ٥٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والنقاش حيث تتجدد فاعليات النصوص الداخلية التخييلية في الناس ، وتغنى بهم وفيهم . ولقد أثبتت التجارب القديمة والحديثة أن الرواية والخطاب يؤثران في الآخر السامع أكثر بكثير من الكتابة ، وفي كثير من الأحايين تهمل وتقع خارج الإنسان وتنقطع عنه ، بينما الرواية الخطاب تؤسس ثقافة فاعلة، وعملا سياسيا، بالمعنى العام ، مفيدا وفاعلا أيضا "[٣٠] .

وهكذا كانت القدرة على التدوين غائبة في ظل الظروف التي كانت سائدة ، فوسائل التدوين ومواده ضئيلة غير متيسرة ، والعنصر البشري الكاتب غائب في أمة أمية ، فضلا عن طبيعة ظروف الدعوة في مكة المتسمة بالسرية ، فلم يكن معقولا حمل ما يثير الشبهة من أدوات وما يلزم للكتابة والتدوين ، وإن ضبط ذلك فعاقبته غير سليمة، والكاتب يحتاج للإضاءة إن أراد الكتابة في الليل ، فهو يختبيء في النهار عن عيون قريش والكفار ، والضوء يجلب الشبهة إليه ليلا في وقت متأخر مما قد يكشف أمره في جنح الليل ، فظروف التخفي سائدة ملازمة للمسلمين ،حتى أن المسلمين في ذلك الوقت قد لا يستطيعون إضاءة شمعة في ظلام الليل عند اجتماعهم في إحدى الدور كدار الندوة مثلا حتى لا يكشف أمرهم ، وقد لا يملكون ثمنها ، لهذا يرى الباحث أن قصر الآيات ذاك الزمان مدعاة لحفظها وتناقلها بين الناس البسطاء وهم نواة الدعوة في زمن كان للكلمة فيه نفوذ واسع وتأثير بالغ .

يضاف إلى هذا كله ثقافة الداعية الخاصة المعلم من ربه، وترتيبه لأوليات التبليغ التي رحم الله بها الناس في أول البعثة ، فداعيتنا الأول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، قد راعى ترتيب

[٣٠] إنشاء الكتابة عند العرب ، عبد الحميد جيدة ، صفحة ٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأوليات في دعوته كما راعاها ربنا في كتابه وتنزيله ، فالمنطق الرباني الذي علمه الله عز وجل لرسوله الكريم ، وتعلمه كل داعية بعد رسولنا عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم ،يستوجب أن يشتغل الرسول والداعية بالمهمات الأولى ، فهل من المنطق أن يتحدث القرآن ورسول الله عن الربا وتعدد الزوجات والطعام المحلل والمحرم مثلا ، قبل الحديث عن موضوع الكفر والإشراك بالله الذي أفسد القوم ذاك الزمن ؟!! ويتجلى هذا الأمر في تصرف المسلمين مع أعدائهم الكفار لحظة إسلامهم ، ففي لحظة ينقلب العدو إلى حبيب بمجرد أن يتلفظ بالشهادتين ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وهذا ما جرى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بعد أن كان حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه ، قد نوى أن يبطش به في دار الأرقم بن أبي الأرقم .

- **خامسا : دينيا**

لقد بعد الزمن بالعرب عن الدين الذي اتبعوه أول الأمر ، فإن كانوا يؤمنون كما يزعمون بإبراهيم نبيا حنيفا ، فلم لم يتبعوا سنته وشريعته ؟! لقد طال الزمان فنسوا تعاليمه المشابهة لما دعا له محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وحالت مصالحهم وأهواؤهم بينهم وبين اتباع الدين الجديد ، القديم ، فأشركوا مع الله أصناما جلبها عمرو بن لحي وهو سيد من سادات قريش في ما مضى ، وعلى رأسها هبل الذي وضع في الكعبة ، فاليعقوبي يذكر : " أن عمراً لقي في الشام قوما من العماليق يعبدون الأصنام ، وبعدها أغروه بأنها تنصرهم وتجلب لهم الغيث ، فسألهم عمرو أن يعطوه منها واحداً ،

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فأعطوه صنما يقال له هبل ، فقدم به مكة ووضعه عند الكعبة " [٣١] فأدخل الوثنية إلى جزيرة العرب واستفاد وقومه من مكانة دينية عظيمة ، يقول جواد علي : " ويذكر أهل الأخبار أن الجاهليين جميعا من قحطان وعدنان كانوا قبل عمرو بن لحي الخزاعي على هذا الدين . كانوا موحدين يعبدون الله جل جلاله وحده ، لا يشركون به ولا ينتقصونه . فلما جاء عمرو بن لحي ، أفسد العرب ، ونشر بينهم أضاليل عبادة الأوثان ،بما تعلمه من وثنيي بلاد الشام حين زارهم ، وحل بينهم ، فكان داعي الوثنية عند العرب والمبشر بها ومضلهم الأول " [٣٢] ويقول محمد أبو زهرة :" ويجب أن يذكر في هذا المقام أن الوثنية سادت العرب ، فنسوا دين إبراهيم ، ودين هود وصالح وغيرهم وسرت فيهم الوثنية سريان النجاسات في الماء الطاهر القراح " [٣٣] وتقادم الزمن على هذا الفعل وصار في الكعبة ما يزيد على ثلاثمائة وستين صنما ، فهل يتخيل عاقل أن القرآن سينزل في أول أيامه بسور طوال تفصل كل شيء ؟! وهل سيقبل كفار قريش هذا القرآن الذي يتعارض مع مصالحهم وينسفها نفسا ؟

وطال ابتعاد زمن آخر نبي عرفته العرب كصالح وهود ، وطول فترة عدم عقاب الله لأحد الأقوام الكافرة، كقوم لوط وهود وشعيب وصالح – وكلهم من العرب – انحرفوا انحرافا شديدا جعلهم يستبدون بمن في مكة وما حولها وأولهم من أسلم وجاء بما يناقض مصالحهم ويخالفها ، فعيسى عليه السلام ، جاء قبل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بما يقارب ستمائة عام ، يقول الديار بكري :" إنه كان من زمان عيسى إلى مولد نبينا عليه السلام ستمائة سنة وفي رواية خمسمائة وثمان

---

[٣١] تاريخ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي ، المجلد الأول ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت، ١٩٦٠ م ، صفحة ٢٥٤

[٣٢] تاريخ العرب قبل الإسلام ، د. جواد علي ، الجزء الرابع ، صفحة ٢٨٩-٢٩٠

[٣٣] خاتم النبيين ، محمد أبو زهرة ، الجزء الأول ، صفحة ٦٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وسبعون سنة مما رفع عيسى إلى السماء " [٣٤] وتلك فترة بعيدة في الزمن ، وإن قلنا إن عيسى أرسل لبني إسرائيل ولم يكونوا في جزيرة العرب ، فسنرجع لمن قبله من رسل ، فهذا موسى عليه السلام أرسل كذلك لبني إسرائيل فخرج بهم من مصر في زمن أقدم من زمن عيسى عليه السلام ، وقبله جاء شعيب عليه السلام لعرب مثلهم وقبله لوط عليه السلام ، لعرب أيضا ، فلقد سكن قوم لوط على أطراف الجزيرة العربية وعرفهم العرب ووصلتهم قصتهم ولكن الفترة طويلة أنستهم الفطرة السليمة وتعاليم ربهم عز وجل أيام هود وشعيب ولوط وإسماعيل والرسل الكرام قبلهم ، ويذكر محمد أبو زهرة عن هود عليه السلام ويخبر أنه عربي فيقول :" هود أقدم من إبراهيم عليه السلام ، كان من قوم عاد، وكانوا عربا يسكنون بالأحقاف ، وكثيرا ما كانوا يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخمة .

ويذكر ابن كثير أنه يقال إن هودا أول من تكلم بالعربية " [٣٥] فكان الأولى إذاً أن تنزل الآيات قصارا تقنعهم بأن للكون إلها واحدا لا شريك له ، متناولة فكرة مكثفة مركزة وهي توحيد الألوهية والربوبية ، فالأولوية لهذه الفكرة ، في دين راعى الأولويات دائما ، فلا حاجة للاستطراد والإطالة والتفصيل الكثير بل القصر والإيجاز أقوى للحافظة وأعلق في الذهن وأدعى للتفكر والتمعن. لقد كان قصر السور ملائما لإيقاع الحياة المتسم بالحركة والسرعة والقلق الذي عانى منه المسلمون في بداية البعثة والذي استمر زمنا ليس بالقليل .

[٣٤] تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، حسين بن محمد الديار بكري ، الجزء الأول ، مؤسسة شعبان للنشر ، بيروت ، صفحة ١٩٨

[٣٥] خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، محمد أبو زهرة ، الجزء الأول ، صفحة ٤٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

التصوير الفني في السور القصار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التصوير الفني في السور القصار

القرآن الكريم كتاب معجز في معانيه وأساليبه ، وقد سُحِر بذلك المؤمنون ، كما أخِذ بروعة بيانه منكرو نزوله من الله عز وجل من عرب الجاهلية ، فوصفوه مرة بالشعر وأخرى بالسحر ، واتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم ، بأنه شاعر وأنه ساحر، قال تعالى : **(وَيَقُولُونَ أئنا لتاركوا آلِهَتنَا لشاعر مَجْنُون)** [٣٦] ويقول : **(أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ)** [٣٧] . وقد رد الله سبحانه وتعالى عليهم في قوله تعالى : **(وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ)**[٣٨] . واتهام العرب الكفار للقرآن الكريم بأنه شعر ، دليل على ما فيه من إبداع ، وأنه عمل وراءه قوى خارقة ، فالعرب كانوا يتصورون أن وراء عملية الإبداع جنا وشياطين وقوى خفية ، يقول الثعالبي : " وكانت الشعراء تزعم أن الشياطين تلقي على أفواهها الشعر ، وتلقنها إياه ، وتعينها عليه، وتدعي أن لكل فحل منهم شيطانا يقول الشعر على لسانه ، فمن كان شيطانه أمرد ، كان شعره أجود " [٣٩] ، قال حسان في جاهليته يعزو إلى شيطانه أنه قائل بعض شعره:

إذا ما ترعرع فينا الغلام فما إن يقال له: من هوه

إذا لم يسد قبل شد الإزار فذلك فينا الذي لا هوه

ولي صاحب من بني الشيصبان فطورا أقول، وطورا هوه " [٤٠] .

---

[٣٦] سورة الصافات ، آية ٣٦

[٣٧] سورة الطور ، آية ٣٠

[٣٨] سورة يس ، آية ٦٩

[٣٩] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، عبد الملك الثعالبي ، مطبعة الظاهر ، القاهرة طبعة ١٩٠٨، صفحة ٥٥

[٤٠] حسان بن ثابت الأنصاري، ديوانه ، دار بيروت للطباعة والنشر ، دار صادر ، طبعة ١٩٦١، صفحة ٢٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول الأعشى موضحا أن له شيطانا يدعمه عند قول الشعر :

وما كنت شاحردا* ولكن حسبتني إذا مسحل سدى لي القول أنطق

شـريكان فيما بيننا من هوادة صفيـان جـني وإنس موفق[٤١]

ويذكر طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي : " والرواة يعرفون شيطان عبيد ، واسم هذا الشيطان هبيد ، وقد رووا لهبيد هذا شعرا "[٤٢].

وهكذا كان العرب يرجعون إبداع الشاعر المتميز إلى ما توحي إليه الجن الذين كانوا يعتقدون بوجودهم في وادي عبقر من ساحر القول ، يقول الحموي : " عبقر : وهي أرض كان يسكنها الجن يقال في المثل كأنهم جن عبقر ، وقال كثير :

متى تأتهم يوما من الدهر كله تجدهم إلى فصل على الناس ترتب

كأنهم من وحش جن صريمةٍ بعبقَر لمّا وجّهت لم تغيّب " [٤٣]

ولا شك في أن الصورة تمثل أحد أهم عناصر الإعجاز الذي يميز آي القرآن الكريم، فغير قليل من سحر بيانه متأتٍ من براعة التصوير .

---

[٤١] ديوان الأعشى ميمون بن قيس ، ديوانه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٣، صفحة ٢٧١
[٤٢] في الشعر الجاهلي ، طه حسين ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٦ ، الطبعة الأولى صفحة ١٥١
[٤٣] معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، المجلد السادس ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٩٠٦
*شاحردا أو شاجردا بالجيم تعني المُتعلِّم ، انظر الصبح المنير في شعرأبي بصير ، مطبعة أدلف هلزهوسن١٩٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن في البيان القرآني الساحر، ولا سيما ما في صوره من خيال ، ما أثار إعجاب كفار قريش والعرب ، فلم يملكوا وهم غير مؤمنين بأنه كلام الله ، إلا أن يدعوا أنه سحر وأن قائله ساحر ، وهذا ما دعا الوليد بن المغيرة ، وهو سيد من سادات قريش وزعيم من زعمائها ، إلى أن يقول لبني مخزوم، حين سمع القرآن : " والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ، إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه مثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو وما يعلى " [٤٤] فما الذي سحر الوليد ، وهو الذي مات على كفره ، بعد أن ناصب محمدا صلى الله عليه وسلم وصحبه العداوة ؟ إنه ولا شك ما ينطوي عليه القرآن من إعجاز بياني ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من البيان لسحرا " [٤٥] فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقر بسحر الكلام ، وهو من صنع البشر ، فكيف بسحر الكلام إذا كان من قول رب البشر ! هذا فضلا عن أن جوانب أخر من السحر والإعجاز القرآني لم تكن ظاهرة في ذاك الزمان ، من إعجازعلمي أو طبي أوفلكي ، فكل ما رأوه في القرآن كان من ناحية بلاغة العبارة ، وصفاء اللغة ، وبراعة التراكيب ، وجمال التصوير في النسق القرآني . ولا شك في أن في مقدمة هذا الكلام المعجز الصور .

---

[٤٤] الكشاف ، الزمخشري ،الفصل الرابع ، ص ٤٨٩

[٤٥] فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، ، جزء ١١ ، (٥٧٦٧) ، دار الفكر ، بيروت طبعة أولى مصححة ،٢٠٠٠، صفحة ٤٠٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة الفنية ومفهومها

لغةً : الصورة : الشكل والتمثال المجسم ، وفي التنزيل العزيز (**الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شاءَ رَكَّبَكَ**) ، وصورة المسألة أو الأمر صفتها والنوع ، يقال هذا الأمر على ثلاث صور ، وصورة الشيء ماهيته المجردة وخياله في الذهن والعقل [٤٦] . وفي تاج العروس : " الصورة : ما ينتقش به الإنسان ويتميز بها عن غيره وذلك ضربان : ضرب محسوس يدركه الخاصة والعامة ، بل يدركها الإنسان وكثير من الحيوانات (كصورة الإنسان والفرس والحمار) والثاني معقول يدركه الخاصة دون العامة " [٤٧]

وما يهمنا في بحثنا هذا هو الصورة المعقولة ، التي يدركها خاصة البلاغيين والنقاد من القدامى والمحدثين من العرب والغربيين ، أي الصورة بوصفها مصطلحاً نقديا ، أو الصورة البيانية التي تعني التعبير عن المعنى المقصود بطريق التشبيه أو المجاز أو الكناية أو تجسيد المعاني .

الصورة في التراث النقدي العربي

شغلت الصورة منذ القديم متذوقي الشعر ونقاده على حد سواء ، لما وجدوا فيها من طاقة على التعبير عن التجربة الشعرية للمبدع ، ولما تملكه من قدرة على الإيحاء والتأثير والكشف عن رؤى الشاعر ، وقد استرعت مكانة الصورة في النص الأدبي اهتمام النقاد العرب القدامى أيضاً ، **فالجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)** يقول في معرض حديثه عن الشعر : " فإنما الشعر صناعة ، وضرب

---

[٤٦] ابراهيم أنيس وآخرون ،المعجم الوسيط ، ج١ صفحة ٥٥٤

[٤٧] تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، جزء ١٢ ، مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٣ ، تحقيق مصطفى حجازي ، صفحة ٣٥٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من النسج ، وجنس من التصوير " [٤٨] ومن هذا المفهوم نستشف أن الصورة عماد القصيدة وقوامها ، وأن الشعر الجيد يقوم على التصوير ،لأنه يستثير مخيلة المتلقي ، فالصورة تحتاج إلى إعمال الخيال لكي تدرك ، فضلاً عن غناها بالحركة والألوان ، ما يحرك الذائقة الفنية لديه . ويقول كذلك في تعليقه على بعض الحديث : " لأن الشيء من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع " [٤٩] وعبارات هذا النص توحي ببناء الصورة من خلال التحليق بالخيال ، وهذا ما يزيد الكلام روعة ، فالصورة تحتاج في تشكيلها إلى الجمع بين المختلفات والمتباعدات وربما المتنافرات ، وهذا يتطلب عملاً ذهنياً من المبدع والمتلقي معاً . وعبارات الجاحظ عن الصورة تكشف عن مدى عمق إدراكه لمفهوم الصورة ودورها .

أما **عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)** فيقول : " واعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ... " [٥٠] فالصورة عنده نتيجة عمل حاسة البصر أولاً ، ثم يأتي دور العقل لتشكيلها ، ويقول كذلك في (دلائل الإعجاز) : " ليس الغرض بنظم الكلم ، أن توالت ألفاظها في النطق ، بل أن تناسقت دِلالتها وتلاقت معانيها ، على الوجه الذي اقتضاه العقل . وكيف يُتصور أن يقصد به إلى توالي الألفاظ في النطق ، بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، وأنه نظير الصياغة والتحبير والتفويف والنقش ، وكل ما يقصد به

---

[٤٨] كتاب الحيوان ، عمرو بن بحر الجاحظ ، الجزء الثالث ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده ، مصر، صفحة ١٣٢

[٤٩] البيان والتبيين ، عمرو بن بحر الجاحظ ، الجزء الأول ،مكتبة الخانجي ، القاهرة١٩٦٠ ، تحقيق عبد السلام هارون ، صفحة ٨٨

[٥٠] دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، صفحة ٣٨٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التصوير " [٥١] فاللغة والنظم عند الجرجاني وسيلة رسم الصورة التي تفهم بالعقل لا بالنظر ، وليس معنى العقل هنا غير الخيال وعمله. ولا شك في أن فهم عبد القاهر للصورة مرتبط بنظريته في النظم، القائمة على حسن الصياغة وتوخي معاني النحو ، يتضح ذلك من اعتباره لقيمة اللفظ في النظم، ولمعرفته لطرائق تصوير المعاني على حقيقتها .

والقرطاجني ، في حديثه عن اللغة الشعرية ، يعدها لغة حسية ، فالكلمات عنده مجموعة من المثيرات الحسية تثير في ذهن المتلقي صوراً و إحساسات .[٥٢]

ويقول في حديثه عن المعاني الذهنية : " إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان، عن الأشياء الموجودة في الأعيان ، فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق ما أدركه منه فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك أقام اللفظ المعبر عنه هيئة تلك الصورة الذهنية في أفهام السامعين وأذهانهم " [٥٣] .وفي فهم القرطاجني للصورة على هذا النحو ربط لها بالخيال، وإشارة إلى تأثيرها في المتلقي .

ومما يجدر ذكره أن الكثير من النقاد العرب والأجانب اختلفوا في التحديد الدقيق لمفهوم الصورة الفنية وتعريفها وإن كانوا يحلقون في أفق واحدٍ ، وبحسب الدكتور نعيم اليافي فإن الاختلاف،

---

[٥١] دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، صفحة ٤٩-٥٠

[٥٢] ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق محمد حبيب الخوجة ، تونس ، دار الكتب الشرقية ١٩٩٦ ، صفحة ٢٣

[٥٣] المرجع نفسه ، صفحة ١٨ - ١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرجع بينهم إلى تعدد دلالات مصطلح " الصورة " بين دلالة لغوية وذهنية ونفسية ورمزية وبلاغية أو فنية ، وتعدد مناهج دراستها ، نتيجة لتعدد هذه الدلالات " [٥٤]

الصورة عند النقاد الغربيين

يعدّ الكاتب **س.د. لويس** الصورة " رسماً قوامه الكلمات " [٥٥] ولكن يظهر أن الكاتب شعر بنقص في تعريفه ذاك ، فقام بتعديله ، متسائلاً : " هل نحن قريبون منه إذا قلنا إن الصورة الشعرية هي رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة ؟ "[٥٦] . ويستمر في البحث عن تعريف مناسب فيقول : " الصورة الشعرية هي صورة حسية في الكلمات وإلى حد ما مجازية ، مع خط خفي من العاطفة الإنسانية في سياقها ، ولكنها مشحونة بإحساس أوعاطفة شعرية خاصة تنساب نحو القارىء" [٥٧] . ويكمل موضحاً آلية تشكيل الصورة ، فيقطع بوجوب أن تعتمد الصورة الشعرية عنده على التشبيه والاستعارة " لقد اخترت التشبيه والمجاز اللذين يقفان دائما على الطرف المعاكس من الصور الشعرية " [٥٨] وهذا يظهر أهمية التشبيه والاستعارة اللذين تقوم الصورة عليهما في الرأي التقليدي القديم ، الذي كان متداولاً عند قدماء النقاد .

---

[٥٤] مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، نعيم اليافي ، وزارة الثقافة والرشاد القومي ، دمشق ١٩٨٢، صفحة ٤١ – ٤٨

[٥٥] الصورة الشعرية ، س.د.لويس ، ،ترجمة د.أحمد نصيف الجنابي ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٨٢، صفحة ٢١

[٥٦] المرجع نفسه ، صفحة ٢٣

[٥٧] المرجع نفسه ، صفحة ٢٦

[٥٨] المرجع نفسه ، صفحة ٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعرف **أندريه بروتون** الصورة بقوله : ": «إن الصورة إبداع خالص للذهن ، ولا يمكن أن تنتج عن مجرد المقارنة (أو التشبيه) ، إنها نتاج التقارب بين واقعتين متباعدتين ، قليلاً أو كثيراً ، وبقدر ما تكون علاقات الواقعتين المقربتين بعيدة وصادقة بقدر ما تكون الصورة قوية وقادرة على التأثير الانفعالي ومحققة الشعر " [٥٩] .

أما كوليردج فلم يتطرق لتعريف خاص بالصورة ، ولكنه يؤكد أهمية قوة الخيال الذي لا تكون الصورة إلا به ، في حديثه عن الشاعر، قائلا : إنه يشيع نغمة الوحدة التي تخلط وتصهر كلا في كل بواسطة (كذا)* تلك القوة الجامعة السحرية التي أطلقنا عليها بشكل مانع اسم " الخيال " " [٦٠] فالخيال عنده ضرب من السحر ، وقوة جامعة . ويذكر كذلك : " إن الحس الصادق هو جسم العبقرية الشعرية ، والاستدعاء كساؤها والعاطفة حياتها ، والخيال هو الروح السارية في كل مكان وكل واحد وتشكل الكل في كيان واحد أنيق مدرك " [٦١]

أما (فان van) فقد عرف الصورة بقوله : " الصورة كلام مشحون شحنا قويا ، يتألف عادة من عناصر محسوسة ، خطوط ، ألوان ، حركة ، ظلال ، تحمل في تضاعيفها فكرة أو عاطفة أي أنها توحي بأكثر من المعنى الظاهر، وأكثر من انعكاس الواقع الخارجي ، وتؤلف في مجموعها كلا منسجما " [٦٢] ، ولا أرى في الخطوط والألوان والحركة والظلال والفكرة سوى مكونات الصورة الجميلة التي نتحدث عنها ونبحث فيها .

---

[٥٩] الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي ، الولي محمد ، الطبعة الأولى ،١٩٩٠ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، صفحة ١٦

* الصواب بوساطة.

[٦٠] النظرية الرومانتيكية في الشعر ، سيرة أدبية لكولريدج ،ترجمة د.عبد الكريم حسان ،طبعة ١٩٧١ ، دار المعارف مصر،صفحة ٢٥١

[٦١] المرجع السابق ، صفحة ٢٥٢

[٦٢] تمهيد في النقد الحديث ، روز غريب ، دار المكشوف ، بيروت ١٩٧١، صفحة ١٩٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويذكر الدكتور كمال أبو ديب رأي **ريتشاردز** (**I. A. Richards**) ، في كتابه عن الاستعارة ودورها في الصورة الفنية ، فيقول : " يحاول ريتشاردز أن يطور نظرة جديدة إلى الصورة (الاستعارة بشكل خاص) ، ويرفض الآراء التي تقول إنها ليست أكثر من زخرف وعنصر جمال هامشي زائد ، وإن المعنى المجرد الحقيقي (أو الطرف الأول – المستعار له) هو " وحده ذو أهمية، إن القارىء الصبور يمكن أن يدرك هذا المعنى المجرد دون اعتبار للصيغة المجازية نفسها وبغض النظر عنها " [٦٣]، فريتشاردز رفض مصطلح الصورة لأنه مضلل ، وفضل عليه مصطلح الاستعارة [٦٤] ، وسنرى الآن ما قاله بعض نقاد العرب المحدثين عن الصورة الفنية ومفهومها عندهم.

الصورة عند النقاد المحدثين من العرب

يلاحظ في مفهوم الصورة الفنية لدى النقاد العرب المحدثين شيء من التفاوت مبعثه اختلاف المدارس التي ينتمي إليها هؤلاء النقاد ، فضلا عن اختلافهم في زوايا النظر إلى الموضوع، وتباين تخصصهم ، والباحث هنا يحاول قدر المستطاع انتقاء المفاهيم التي تثري الدراسة وتساعد على تقريب الصورة إلى الذهن لأبعد حد ممكن ، وفي هذا السياق تقول بشرى صالح : " إن أي محاولة لإيجاد تحديد نهائي مستقر للصورة غير منطقية ، إن لم تكن ضربا من المحال " [٦٥] لذا سيجري طرح بعض الآراء واختيار الأقرب منها للإدراك .

---

[٦٣] جدلية الخفاء والتجلي ، كمال أبو ديب ، دار العلم للملايين ،طبعة ١٩٨٠، صفحة ٤٤

[٦٤] مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، نعيم اليافي ، وزارة الثقافة والرشاد القومي ، دمشق ١٩٨٢ ، صفحة ٤٨

[٦٥] الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، بشرى موسى صالح ، المركز الثقافي العربي ، طبعة ١٩٩٤ ص ١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن التعاريف التي وجدها البحث ما ذكره **عبد الإله الصائغ** في كتابه (الصورة الفنية) معرفا إياها بقوله : " نسخة جمالية إبداعية تستحضر الهيئة الحسية أو الذهنية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تنهض لها قدرة الشاعر ومقدار تجربته وفق تعادلية بين طرفين هما المجاز والواقع دون أن يستبد طرف بآخر " [٦٦] . ويتحدث **عبد القادر الرباعي** عن الصورة قائلا : " إن الصورة بالمفهوم الفني لها تعني : أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن " [٦٧] وهذه الصورة عنده بالشكل العام ، أما الصورة بالتفصيل فـ" تركيبة عقلية تحدث بالتناسب أو بالمقارنة بين عنصرين هما في أحيان كثيرة ،عنصر ظاهري وآخر باطني، وأن جمال ذلك التناسب أو المقارنة يحدد بعنصرين آخرين هما : الحافز والقيمة، لأن كل صورة فنية تنشأ بدافع وتؤدي إلى قيمة " [٦٨]. ويقول الدكتور **نظمي عبد البديع محمد** : " والتصوير الخيالي رسم بالكلمات يجسم المعاني ويمكننا من الإدراك لها واضحة مُحَسة يمكن أن تدرك بأكثر من حاسة جسا ولمسا من بعد أن كانت مجرد معانٍ لا تدركها غير الأفهام ". [٦٩]

أما **أحمد الشايب** فيعتبر الصور الفنية من " الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرائه وسامعيه " [٧٠] ، ويحدد الشايب مقياس الصورة في نظره بأنه " قدرتها على نقل الفكرة والعاطفة بأمانة ودقة – فالصورة "FORM " هي العبارة الخارجية للحالة الداخلية – وهذا هو مقياسها الأصيل ، وكل ما نصفها به من جمال وروعة وقوة إنما مرجعه هذا التناسب بينها وبين

---

[٦٦] الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية ، عبد الإله الصائغ ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، صفحة ٩٩

[٦٧] الصورة الفنية في النقد الشعري ، عبد القادر الرباعي ، مكتبة الكتاني ، إربد، صفحة ٨٥

[٦٨] المرجع نفسه ، صفحة ٨٥ -٨٦ .

[٦٩] في النقد الأدبي ، نظمي عبدالبديع ،١٩٨٧ ،جامعة الأزهر ، الاسكندرية، صفحة ١٣٦

[٧٠] أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، الطبعة الثامنة ١٩٧٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، صفحة ٢٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ما تصور من عقل الكاتب ومزاجه تصويرا دقيقا خاليا من الجفوة والتعقيد ، فيه روح الأديب وقلبه ، بحيث نقرأه كأنا نحادثه ، ونسمعه كأنا نعامله " [٧١] ، نحن لسنا بصدد تقويم أقوال العرب والغرب في الصورة ، ولكن غايتنا اختيار ما يناسب مهمتنا من التعريفات التي تتمثل في الوقوع على الصورة في القرآن الكريم ومحاولة تلمس سر الجمال فيها ، وهذا التعريف من التعاريف الشاملة والبسيطة ، فنقل العاطفة والفكرة معا هو ما برع فيه القرآن الكريم وكان سببا لإبهار قارئيه وسامعيه وإثارة إعجابهم ، فكان معجزة الله في كل زمان ومكان .

ومن الغريب أن يذهب بعض الدارسين إلى أن الصورة الفنية تكون فيما لا يحتوي على التشبيهات أو المجاز والكناية والاستعارة ، كالدكتور عبد الفتاح نافع الذي يقول : " نجد كثيرا من الصور الجميلة الخصبة جاءت من استخدام عبارات حقيقية لا مجاز فيها "[٧٢] ، وهذا علي البطل يقول :" قد تخلو الصورة بالمعنى الحديث من المجاز أصلا ، فتكون عبارات حقيقية الاستعمال ، ومع ذلك فهي تشكل صورة دالة على خيال خصب " [٧٣] وأذكر قول محمد غنيمي هلال المتعلق بهذه القضية : " من وسائل التصوير والإشارة ما لا يدخل في الوجوه البلاغية التي ذكروها بحال " [٧٤] وفي هذه الآراء مجانبة للصواب ، فالصورة لا تتبني إلا على الخيال ، ولا تدرك إلا بإعمال الخيال . ثم إن هناك فرقاً بين الصورة واشتمال التعبير على معانٍ عميقة ، فالكثير من شعرائنا في العصر القديم ذكروا شعراً يحتوي على كلام رائع النظم جميل السبك ، لكن لم يقل أحد بوجود صورة فيه ، والأمثلة كثيرة في الشعر، يقول المتنبي :

---

[٧١] أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، الطبعة العاشرة ١٩٩٤ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، صفحة ٢٥٠

[٧٢] الصورة في شعر بشار ، عبدالفتاح نافع ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ١٩٨٣ ، صفحة ٥٨-٥٩

[٧٣] الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني ، علي البطل ،الطبعة الأولى ١٩٨٠ ، دار الأندلس ،بيروت، صفحة ٢٥

[٧٤] النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣، صفحة ٢٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليالي بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل

وما شرقي بالماء إلا تذكراً لماءٍ به أهل الحبيب نزول[٧٥]

ويقول بشار بن برد :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه[٧٦]

إذا الملك الجبار صعر خده مشينا إليه بالسيوف نعاتبه[٧٧]

في هذه الأبيات روعة معنى وجمال فكرة، ولكن لا صورة فيها .

وجمهرة النقاد يرون أن لا بد من وجود ضروب المجاز والاستعارة لبناء الصورة الفنية بخلاف رأي من قال بأن الصور تأتي مما لا استعارات ولا مجاز فيه ، ونجد في تعريف د. عبد القادر الرباعي للصورة الفنية شمولا وتحديدا لما يخدم هدف هذه الدراسة ، وسيعتمده الباحث بوصفه تعريفاً يرجع له في تحديد الصور في السور القصار .

أنواع الصورة الفنية

أفرزت البحوث المستفيضة في الصورة أسماء ومصطلحاتٍ كثيرة ، بعضها مُستمد من الحواس ، كالصورة البصرية والشمية والسمعية والذوقية ، وبعضها الآخر يتعلق بصلتها بالخيال

[٧٥] ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي ، الجزء الثاني ، دارالأرقم ، بيروت ، صفحة ٧٣٧
[٧٦] ديوان بشار بن برد ، الجزء الأول ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،طبعة ١٩٥٠، صفحة ٣٠٩
[٧٧] المرجع نفسه ، صفحة ٣١٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومستواه فيها كالصورة الذهنية والصورة الحسية ، وبعضها يتصل بطبيعتها كالصورة الحركية والراكدة والنامية ، ومن ذلك الصورة اللونية وما شابه.

ويبرز من بين هذه التسميات نمط تصنيف يتصل بتركيب الصورة وآلية تشكيلها. وكان من نتائجه شيوع مصطلحات ثلاثة هي :الصورة المفردة (أو الجزئية) والصورة المركبة ، وهي نمطان هما الصورة الموسعة والصورة المكثفة ، أما المصطلح الثالث فهو الصورة الكلية .وهذه المصطلحات حريّة بالاهتمام لكونها تعنى بآلية التشكيل .

أما الصورة المفردة (الجزئية) ، فتقوم على أحد فنون البلاغة (التشبيه ، الاستعارة ، الكناية) منفرداً معبرّاً عنه بجملة شعرية ، وتحكمه علاقات تؤول إلى نوع من التناغم بين حديه . أما إبداع الشاعر فيه فيتمثل في عمله على إحداث التآلف والانسجام بين المتنافر والمتضاد من أطراف الصورة في هذا الضرب . [٧٨] .

وفي حديث الدكتور عبد القادر الرباعي عن الوضع الإفرادي للصورة ، ويعني به (الصورة المفردة) يقول عنه إنه " الوضع الذي تتجمع فيه العناصر فرادى لتشكل صورة مفردة " [٧٩] ويضرب لذلك مثلا قول أبي تمام :

حيران يسقي سجف النقع من دهش طودًا يحاذر أن ينقض أو حرُفا

أما النمط الثاني من الصور ، وهو الصورة المركبة ، فهو الذي تتمازج فيه مجموعة من الصور المفردة متضافرة ، لتصنع الصورة المركبة ، في مشهد عام في القصيدة . وهي على حد تعريف

---

[٧٨] انظر ، إيمان محمد ربيع ، (ثنائية الأرض والإنسان في شعر حيدر محمود . دراسة فنية) ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، ٢٠١١ ، صفحة ١٦٤

[٧٩] تم الاعتماد على الدكتور عبد القادر الرباعي في التعريف بهذ النمط من الصور في كتابه " الصورة الفنية في شعر أبي تمام " ، جامعة اليرموك ، إربد ، ١٩٨٠ ، صفحة ١٧٧ - ١٨٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدكتور الرباعي أنها الصورة التي تضم مجموعة " من الصور، ترتبط كل واحدة منها بالأخرى على نحو ما ويتألف من الجميع شكل صوري أوسع وأشمل وأكثر تشعباً وتشابكاً " وتتجلى الصورة المركبة في نمطين هما الصورة الموسعة والصورة المكثفة .

أما الصورة الموسعة فهي التي " تؤلف منظراً عاماً مشكلاً من مجموعة من الصور الثانوية المترابطة ضمن إطار خيالي محدد الجوانب مهما اتسع " وأما الصورة المكثفة فهي التي " تشكل من الخيال منظراً صوريا ممتداً توحي به مجموعة قليلة من الصور المتداخلة " والنمط الرئيس الثالث من هذا الصنف : الصورة الكلية ، وهي التي تتمثل في " ذلك البناء الواسع الذي تتحرك فيه مجموعة من الصور المفردة ، بعلاقاتها المتعددة حتى تصيره متشابك الحلقات والأجزاء بخيوط رفيعة مضموماً بعضها إلى بعض في شكل اصطلحنا على تسميته قصيدة " [٨٠] . وتعد الصورة الكلية من العناصر الإبداعية في القصيدة الحديثة الناجحة ، التي غالباً ما تقوم على صور ، ذلك أن الصور أقدر هذه العناصر على تجسيد أخيلة المبدع . قد تتكاثر هذه الصور في القصيدة وتمتد لتنتظم القصيدة كلها ، إذ تتضافر إذاك أجزاؤها لتقوم برسم لوحة القصيدة بكاملها [٨١]

يعول كثير من دارسي آلية تشكيل الصورة على دور الخيال في هذا التشكيل ، والخيال في اللغة بحسب ما يذكر ابن منظور : " والخيال والخيالة : ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة " والخيال والخيالة : الشخص والطيف . التهذيب : الخيال لكل شيء تراه كالظل ، وكذلك خيال

---

[٨٠] الصورة الفنية في النقد الشعري ، دراسة في النظرية والتطبيق ، عبد القادر الرباعي ، مكتبة الكتاني للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ ، صفحة ١٠ .

[٨١] إيمان محمد ربيع ، ثنائية الأرض والإنسان في شعر حيدر محمود ،رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، ٢٠١١ ، صفحة ١٧١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنسان في المرآة ، وخياله في المنام صورة تمثاله " [٨٢] ، وفي هذه المعاني اتصال بالصورة بعامة ، ومنها الصورة الذهنية أيضاً. والعلاقة بين الخيال والصورة لا تنفصل بحال ، يقول د.جابر عصفور : " إن علاقة الاشتقاق بين كلمتي (imagination) و (imagery) تشي بالصلة الوثيقة بين كلتيهما ، وتوضح – بشكل ضمني – أن أي مفهوم للصورة الشعرية لا يمكن أن يقوم إلا على أساس مكين من مفهوم متماسك للخيال الشعري نفسه ، فالصورة هي أداة الخيال ، ووسيلته ، ومادته الهامة التي يمارس بها ، ومن خلالها ، فاعليته ونشاطه "[٨٣]

ومن الخيال جاء التخيّل الذي يربط أكثر بين الصورة والخيال بمفهومه الشعري، فكان النظّام يفسر ما يرويه العرب من أخبار وأشعار ، تتحدث عن عزيف الجن والغيلان ، على أنه من قبيل التخيّل الذي لا حقيقة له " ومن انفرد فكر وتوهم واستوحش وتخيل ، فرأى ما لا يُرى وسمع ما لا يسمع " [٨٤] ويقول الكندي :" التوهم هو الفنطاسيا قوة نفسية ومدركة للصور الحسية مع غيبة طينتها . ويقال الفنطاسيا هو التخيل ، وهو حضور صور الأشياء المحسوسة مع غيبة طينتها " [٨٥] وقول الكندي هذا يؤكد ما يوجد من ربط بين التخيل والصور، وهذا هو بعينه ما نريد ويقول باحث آخر : " تعد الصورة في الشعر تحققا للخيال " [٨٦] ولأن الخيال والصورة لا ينفصلان ولا يكونان إلا معا في الصورة الفنية ، نذكر رأي الدكتور عبدالفتاح نافع ، في قوله عن الخيال :" والخيال أساس الصورة

---

[٨٢] لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، مجلد ١١، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، طبعة ، ١٩٦٨صفحة ٢٣٠

[٨٣] الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، دار التنوير ، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، صفحة ١٦

[٨٤] ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن دار الكتب العلمية ، بيروت ،٢٠٠٢، صفحة ٧٨

[٨٥] رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق محمد عبدالهادي أبو ريدة ، دار الفكر العربي ، مصر ١٩٥٠، صفحة ١٦٧

[٨٦] الخيال مفهومه ووظائفه ، عاطف جودة نصر ، مكتبة لبنان ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٩٨، صفحة ٣٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأدبية مهما كانت درجته الفنية ، فإليه يرجع تحقيق الاندماج بين الشعور واللاشعور، وتحقيق التوافق بين الوحدة والتنوع ، وهو الذي يخلق العمل الفني ".[٨٧]

وهذا ما يؤكد الارتباط بين الصورة والخيال ، إذ لا صورة دون خيال ، وفهم الصورة من قبل المتلقي يحتاج لإعمال الخيال أيضاً، ولم يكن القوم (المسلمون الأول) عند نزول مثل هذه الصور في حال تسمح لهم بمتابعة المعاني الدقيقة والرؤى المقصودة من قبل الشارع الأعظم لو كانت الصور معقدة أو مركبة أو كلية أو مكثفة ، لذلك جاءت هذه الصور أقرب إلى التركيب السهل معتمدة المجازات القريبة، على نحو ما سيرد من هذه الصور .

ويلاحظ ، قبل البحث في الصور القرآنية ، أن ما يتصل بالجذر (صور) من ألفاظ قد ورد في القرآن الكريم ست مرات ، مرتين بصيغة الفعل الماضي (صوّركم [٨٨] وصوّرناكم [٨٩]) ومرة بصيغة الفعل المضارع (يصوركم [٩٠]) ، ومرة بصيغة اسم الفاعل (المصوّر [٩١]) ، وبصيغة الجمع مرة (صوَركم [٩٢]) ، ومرة بصيغة الاسم المفرد (صورة [٩٣]) ، وهذا يشير إلى ألفة العرب للمعنى العام للصورة في وقت النزول، فضلاً عما أثاره ورود اللفظة بصيغها المختلفة في نفوس الدارسين من رغبة في تتبع دلالاتها ، ونبههم إلى عمق الدلالات التي توحي بها هذه الصيغ .

---

[٨٧] عبد الفتاح نافع ، الصورة في شعر بشار بن برد ،دار الفكر ، عمان الأردن ١٩٨٣،صفحة ٦٧
[٨٨] سورة غافر ، آية ٦٤
[٨٩] سورة الأعراف ، آية ١١
[٩٠] سورة آل عمران ، آية ٦
[٩١] سورة الحشر ، آية ٢٤
[٩٢] سورة غافر ، آية ٦٤
[٩٣] سورة الانفطار ، آية ٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في دراسة متأنية مدقّقة للصور التي وردت في السور القصار ، لوحظ أن نوعا واحدا من الصور الفنية يتردد فيها ، وهو الصور المفردة ، وهي صور ذات تركيب بسيط غير معقد ، يراعي حال المسلمين وأوضاعهم في مبدأ الدعوة ، فالصور المكثفة وباقي أشكال الصورة كالمركبة والموسعة والمكثفة والكلية تحتاج إلى كدّ الذهن وإعمال الخيال وكثرة التأمل لمعرفة دقائق أبعادها وأسرار جمالها ، على نحو ما نرى في السور المدنية التي نزلت بعد استقرار الحال للمسلمين في المدينة ، هذا بالرغم من أن سيد قطب يرى أن " أسلوب القرآن كله تصويري ، ما عدا آيات التشريع ، وهو سر إعجازه وقدرته على التأثير في نفوس المؤمنين والكافرين " [٩٤] فسر الإعجاز فيه حاصل في العديد من جوانبه ، ولكن الصورة قد كانت الأبرز في ذاك الزمن الذي يعنى بالإبداع الفني أكثر من عنايته بأي إعجاز آخر كالعلمي الذي صار موضع عناية المفسرين والدارسين في عصرنا هذا.

ومن هذه الصور المفردة ما جاء في سورة الطلاق ، وهي سورة مدنية " تضمنت بعض الأحكام التشريعية المتعلقة بأحوال الزوجين ، كبيان أحكام الطلاق وكيفيته ، وما يترتب على الطلاق من العدة ، والنفقة ، والسكنى ، وأجر المرضع إلى غير ما هنالك من أحكام"[٩٥] . وفي هذه السورة اختلاف عن السور القصار الأخرى التي حددت في الفصل الأول نظرا لمدنيتها ، وخصائصها المدنية ، فآياتها طالت نسبيا، مع أن عددها قليل كالسور المكية القصار ، لكنها عالجت موضوعا مختلفا عن السور المكية القصيرة ، وتتمثل هذه الصور المفردة في قوله تعالى : (**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ**

[٩٤] التصوير الفني في القرآن الكريم ، سيد قطب ، صفحة ١٧

[٩٥] صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، المجلد الثالث ، دار الصابوني ، القاهرة ، الطبعة التاسعة، صفحة ٣٩٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً وَعَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً)[٩٦] تحتوي الآية الكريمة على مجاز مرسل ، إذ يراد بالقرية أهل القرية من باب تسمية الحال باسم المحل .فالله يصور القرية بشخص رفض أوامر الله ورسوله ، فطوى ذكر الشخص وترك العتو ، وهو من صفاته يدل عليه.

ومن نمط هذه الصور قوله تعالى: (**فَذاقَتْ وَبالَ أَمْرِها وَكانَ عاقِبَةُ أَمْرِها خُسْراً**) [٩٧] " والوبال في الأصل : " الثقل والمكروه " [٩٨] وفي هذه الصورة نجد الوبال طعاماً له مذاق ، وسيكون حتما مر الطعم ، وقد طوى ذكر الطعام وبقي المذاق وهو من لوازمه والصورة ذوقية .

وفي قوله تعالى : (**رسولاً يتلوا عليكم ءايات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا**) [٩٩] ، في هذه الآية استعارة جميلة ، إذ شبّه الضلال والكفر بالظلمات ، و شبّه الإيمان والهدى بالنور ، وحذف المشبهان وبقيت الظلمات والنور مكانهما ، وفي هذا بيان لكيفية إخراج المؤمنين من ظلمات الجهل والكفر إلى نور الإيمان والهدى والعلم ، وهذه صورة لا يُرهَق المؤمن عند سماعها في إعمال ذهنه لفهمها ، فهي بسيطة سهلة واضحة ، أطرافها من مألوفات الناس .

---

[٩٦] سورة الطلاق ، آية ٨
[٩٧] سورة الطلاق ، آية ٩
[٩٨] لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، مجلد ١١ ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، طبعة ١٩٦٨، صفحة ٧٢٠
[٩٩] سورة الطلاق ، آية ١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي سورة التحريم ، وهي سورة مدنية من السور القصار ، تظهر صورة جميلة في قوله تعالى :

(يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) [١٠٠] فالله عز وجل يصور لنا الناس وما سيؤول إليه حالهم بعد الموت ، بتحولهم إلى مادة نفطية تشعل النار وتزيد من احتراقها وتشاركها الحجارة مهمة الإيقاد ، وإذا كان جسد الإنسان يفنى بالاحتراق ، فالحجارة لا تفنى. ولقد دلت ، على تحول الناس والحجارة إلى مادة اشتعال ،كلمة (وقودها) ، فجاءت الصورة مفردة سهلة التركيب.

وفي سورة المنافقين جاءت هذه الصورة :(**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**)[١٠١] فالصورة تكمن في الاستعارة في قوله تعالى: " اتخذوا أيمانهم جنة " ، فالجنة وهي ما يستتر به ، حلت على سبيل الاستعارة محل الترس لأنهم كانوا يظهرون الإسلام ليحموا أنفسهم وأموالهم من المسلمين ، فالصورة كصورة الرجل الذي يحمي نفسه من ضربات المقاتلين بترس يتقي به الضربات ، وكأن يمينه للرسول ترسٌ يحميه من المسلمين ،فصور الله اليمين بالدرع والجنة وذكر كيف صد المنافقون عن سبيل الله ، يقول الألوسي : " وقال الضحاك : أي اتخذوا حلفهم بالله إنهم لمنكم جنة عن القتل أو السبي " [١٠٢] .

---

[١٠٠] سورة التحريم ، آية ٦

[١٠١] سورة المنافقون ، آية ٢

[١٠٢] روح المعاني ، شهاب الدين الألوسي ، الجزء الثامن والعشرون ،دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠، صفحة ٤٢٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه صورة في قوله تعالى : **(يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)** [١٠٣]

يصور الله تعالى الأموال بشيء يلهي المؤمنين ونسب اللهو للأموال على سبيل الاستعارة ، فالإلهاء من فعل البشر ، فهي تلهيهم عن الصلاة والعبادة وقراءة القرآن كما يفعل الإنسان، وفي سورة الشمس ترد صورة أخرى في قوله عز من قائل :

(**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا**) [١٠٤] الليل في هذه الآية يقوم بحجب الشمس ويسدل عليها غطاءً أو غشاءً يحجب نورها القوي ، وهذا من فعل البشر، فالخيال يسرح في شمس غطيت بغطاء.

وفي سورة الشرح تتوالي صور جميلة بسيطة التركيب في النصف الأول من هذه السورة القصيرة ، قال تعالى : **(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤))** فصور الله عز وجل صدرالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقد وسعه الله وجعله فسيحا ، بقطعة أرض ،فحذف المشبه به وترك شيئاً من لوازمه وهو الشرح ليدل عليه ، صورة للمكان الرحب الذي يتسع للكثير ، وقد استعمل الله مقابل وضد هذه الصورة في قوله تعالى : **(وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً)** [١٠٥] والصورة الثانية ترد في الوزر ، هذا الحمل الثقيل الذي يحمله رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقد وضع عنه ، فشبهه الله بالثقل والمتاع الثقيل وبقي منه ما يدل عليه وهو وضعه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصورة الثالثة صورة نقض الظهر ، وهذا الحمل أتعب ظهر الرسول عليه السلام ، وكلمة " أنقض " توحي بصورة صوتية فللنقيض

---

[١٠٣] سورة المنافقون ، آية ٩
[١٠٤] سورة الشمس آية ٤
[١٠٥] سورة الأنعام ، آية ١٢٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صوت ، فصور الله تعالى ظهر الرسول بشيء ينكسر ويسمع صوت الكسر منه وهو النقيض ، يقول الزمخشري في كشافه : " والوزر الذي أنقض ظهره أي : حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله " [١٠٦] .

ويقول القونوي في حاشيته : " النقيض هو صوت الرحل عند الانتقاض ، قال الجوهري أنقض الحمل ظهره أي أثقله وقال الراغب أنقض ظهره أي كسره حتى صار له نقيض تشبيه الذنب بالحمل استعارة بالكناية وذكر الظهر تخييل *، وذكر النقيض والوضع ترشيح " [١٠٧] فالحمل ثقيل على ظهر الرسول صلى الله عليه وسلم وكأن له صوتا من ثقله ، أو كأنه يجعل عظام ظهر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، تصدر صوتاً من الثقل ، ويقول الفخر الرازي :" قال علماء اللغة الأصل فيه أن الظهر إذا أثقل الحمل سمع له نقيض أي صوت خفي ، وهو صوت المحامل والرحال والأضلاع ، أو البعير إذا أثقله الحمل فهو مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم" [١٠٨] والصورة الرابعة التى وردت هي صورة الذكر الذي صوره الله بالثقل الذي يرفع إلى السماء من علياء قدره ومكانه ، فالرفع لا يكون إلا للشيء الثقيل ، ودل على الثقل المادي كلمة الرفع ، والرفع يكون من قبل أحد ، وإلا لقال ارتفع، وفي اللسان :" يقال : ارتفع الشيء ارتفاعا بنفسه إذا علا . قال الأزهري : المعروف في كلام العرب رفعت الشيء فارتفع ، ولم أسمع ارتفع واقعا بمعنى رفع " [١٠٩]

---

[١٠٦] الكشاف ، الزمخشري ، الفصل الرابع ، صفحة ٥٨١

* التخييل : " هو تصوير حقيقة الشيء حتى يتوهم أنه ذو صورة تشاهد وأنه مما يظهر في العيان " مراجعة ابن الزملكاني ، التبيان ، صفحة ١٧٨

[١٠٧] حاشية القونوي عصام الدين بن محمد الحنفي على تفسير الإمام البيضاوي ، المجلد العشرون ،الطبعة الأولى ٢٠٠١، صفحة ٣٢٩

[١٠٨] التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، فخر الدين محمد الرازي ، الجزء ٢٢ ، دار الفكر، صفحة ٥

[١٠٩] لسان العرب ، ابن منظور ، المجلد الثامن ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨، صفحة ١٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلم تظهر صورة المشبه به الذكر ، بل تُرِك لنا شيئٌ من لوازمه وهو الرفع ليدل عليه عند التفكر البسيط فيه.

ومن الصور في الآيات القصار ، قول الله تعالى في سورة الضحى : (**وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢)**)[١١٠] وفي الآية صورة تتعدى كون الليل يظلم ويسكن ، بل يصور الله سبحانه وتعالى هنا الليل بالبحر الذي يسكن موجه ، فذكر السجو وأخفى الموج ، والسجو من لوازم الموج ، وكم شاعرٍ صور الليل بهيئة موج البحر ، يقول امرؤ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي[١١١]

وقال الأعشى :

فما ذنبنا أن جاش بحر ابن عمكم وبحرك ساجٍ لا يواري الدعامصا[١١٢]

وفي اللسان : "والليل إذا سجا إذا سكن بالناس ، وقال الحسن : إذا لبس الناس إذا جاء . الأصمعي: سجو الليل تغطيته للنهار مثل ما يسجى الرجل بالثوب . وسجا البحر وأسجى إذا سكن "[١١٣] ، صورة تسحر الألباب على بساطتها وسهولة تركيبها ، وهذا من سمات إعجاز القرآن الكريم .

ويلاحَظ قصر الصورة والإيجاز في تركيبها في آيات السور القصار ، فبعض الصور لا تتجاوز الكلمتين كما في قوله تعالى : (**وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**)[١١٤] فيصور الله تعالى لنا كل ما يمنع

---

[١١٠] سورة الضحى ، آية ١-٢

[١١١] ديوان امريء القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دارالمعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة، صفحة ١٨

[١١٢] ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح د.محمد حسين ، المطبعة النموذجية ، القاهرة، صفحة ١٥١

[١١٣] لسان العرب ، ابن منظور ، المجلد الثامن ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨، صفحة ٣٧١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عن الناس كالقدر والفأس والماء وأي شيء بالماعون ، ويقصد من الناس العصاة الجفاة القليلي المروءة ، فيذكر المنع منهم ، وتشتق كلمة الماعون من المعونة فتكتمل الصورة في الذهن .

وفي آية أخرى من سورة الهمزة تطالعنا آية قصيرة تتضمن صورة مفردة،وذلك في قوله تعالى: (**نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧)**) إذ اتخذت النار صفة إنسان يطلع ويشاهد ما في القلوب من أعمال سيئة أو حسنة ليقرر مصيره وجزاءه يوم القيامة ، فذكر الاطلاع وحذف ما شبه به النار وترك لنا منه الاطلاع ليدل عليه ، يقول الألوسي في روح المعاني : " يراد الاطلاع العلمي والكلام على سبيل المجاز ، وذلك أنه لما كان لكل من المعذبين عذاب من النار على قدر ذنبه المتولد من صفات قلبه قيل إنها تطالع الأفئدة التي هي معادن الذنوب فتعلم ما فيها فتجازي كلا بحسب ما فيه من الصفة المقتضية للعذاب " [١١٥] .

ومع تتبع باقي الصور في السور القصار ، نلمس صورة أخرى في سورة الفيل في قوله تعالى : (**أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ(٢)**) يشبه الله تعالى الكيد بشيء مادي يضاع ، ويجعله في موقع ضلال بحيث ينمحي أثره ، ودل على التشبيه بالشيء المادي كلمة تضليل ، يذكر الألوسي أنّ" أصل التضليل من ضل عنه إذا ضاع فاستعير هنا للإبطال ومنه قيل لامرىء القيس الضليل لأنه ضلل ملك أبيه وضيعه " [١١٦] .

---

[١١٤] سورة الماعون ، آية ٧
[١١٥] روح المعاني ، شهاب الدين الألوسي ، الجزء الثلاثون ، صفحة ٦٤٠
[١١٦] المرجع نفسه ، صفحة ٦٤٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي سورة العاديات نجد صورتين أخريين في قوله تعالى : (**أَفَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ ما فِي الصُّدُورِ (١٠)**) ، تحتوي القبور على عظام الأموات ورفاتهم ، ويقصد الله تعالى ببعثر النشر كما ذكر أكثر من مفسر للقرآن الكريم كالألوسي الذي يقول : "والمعنى إذا قلب ترابها وأخرج موتيها " [١١٧] وحلت البعثرة مكان النشور والبعث ، والبعثرة تكون للأشياء الموجودة ، وقد لا يوجد العظم أصلا مع التحلل مع الزمن ، فصارت البعثرة على الرفات . والصورة الثانية صورة تحصيل ما في الصدور ، وما يوجد في الصدور أشياء غير محسوسة أو ملموسة ، يجعلها الله كالأشياء المادية التي تعد وتحصى وتجمع، ودل على هذه الصورة كلمة التحصيل الذي يكون للماديات ، يقول الألوسي : " أي جمع ما في القلوب من العزائم المصممة وأظهر كإظهار اللب من القشر وجمعه أو ميز خيره من شره فقد استعمل حصل الشيء بمعنى ميزه من غيره كما في "البحر" وأصل التحصيل إخراج اللب من القشر كإخراج الذهب من حجر المعدن والبر من التبن ... " [١١٨] .

هذه صور منتخبة من السور القصار ، يلاحظ فيها أنها يسيرة التركيب قريبة المتناول تنتمي بأجمعها إلى نمط الصورة المفردة (الجزئية) وهذا ما يناسب قصر السور التي وردت فيها ، التي لا تحتمل صورا مركبة أو كلية ، وهذا ما يتلاءم مع إيقاع الحقبة التي نزلت فيها ، وهو إيقاع يتسم بالكتمان والسرعة وينسجم مع مهمة تبليغ أساسيات الدين الجديد .

ومن الجدير بالذكر أن هناك نوعا آخر من الصور ورد في الآيات من السور القصار، ويتمثل في الصور المعتمدة على التشبيه .

---

[١١٧] حاشية القونوي عصام الدين بن محمد الحنفي على تفسير الإمام البيضاوي ، المجلد العشرون ، صفحة ٤٠٧

[١١٨] روح المعاني ، شهاب الدين الألوسي ، الجزء الثلاثون ، صفحة ٦١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التشبيه :

ينعقد الإجماع على تفرّد النص القرآني الكريم بسحر البيان ، وجمال النظم ، ووضوح المعاني ودقتها ، وخير ما يعبر عن كل ذلك وصفه بالإعجاز . وقد ذهب النقاد والبلاغيون القدامى والمحدثون كل مذهب في استجلاء أسرار هذا الإعجاز في كل أوجهه ، فمنهم من تتبعه في اللغة ، ومنهم من تتبعه في النظم ، ومنهم من التمسه في التصوير البياني والمجاز ، وكان للتشبيه نصيبه من هذه العناية .

ولأهمية دور التشبيه في إضفاء الجمال على النص ، والإسهام في توضيح معناه وتجليته ، مع ما يخلفه على النص من رونق وبهاء ، نجد الدارسين يتنبهون إلى مزاياه البيانية ، ومن ذلك ما ذكره الدكتور محمد رفعت بقوله : " التشبيهات البديعة تفيض جمالاً متجدداً كلما أعيد فيها النظر والتأمل ! وهناك بعض القيم الأسلوبية تتجلى بواسطة التشبيه ، وتبرز قيمة كل صورة من صور التشبيه التي يأتي عليها من خلال حسن توظيفها في الكلام ، وأدائها للغرض الذي وجدت من أجله ، ويعرف ذلك من خلال دراسة السياق الذي وردت فيه ، ومدى انسجامها معه ." [١١٩] ويؤكد هذه الأهمية للتشبيه في التعبير عن المعنى مع إضفاء الجمال عليه ،الدكتور محمد رفعت قائلاً : " وتتمثل قيمة التشبيه الفنية ، في أنه أسلوب شائق من أساليب البيان ، يعمد إليه الشعراء ، لأداء المعنى المراد على أكمل وجه ، وهناك إيحاءات شتى تستفاد من التشبيه ، وتثري الأسلوب ، لذا كان غيابه من السياق يذهب بجمال الكلام ، وينقص مقداره ." [١٢٠]

---

[١١٩] فن التشبيه في الشعر العباسي ، محمد رفعت زنجير ، دار الأمان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ ، صفحة ٥٤٢

[١٢٠] المرجع نفسه ، صفحة ٥٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد حفلت قصار السور بأفانين من التشبيهات ، فورد منه ما ناسب الزمن والحال في لحظة نزوله ، مكياً كان أم مدنياً ، " فالقرآن الكريم ، وهو المثل الأعلى في بلاغة الأسلوب ، وروعة البيان، وكمال الأداء اللغوي ، اتخذ من الصور التشبيهية وسيلة يتوجه بها إلى مخاطبة الناس وتجلية المعاني وتوضيحها عن طريق هذه الصور الذهنية المجردة التي يفيدها التشبيه ، فضلاً عمّا يفيده التشبيه من ضرب الأمثال بالواقع المحسوس المشاهد الذي يخضع لمعطيات الحواس الخمس الظاهرة، وذاك مبالغة في الإقناع ، وتثبيتاً للمعنى في النفوس . " [١٢١]

التشبيه **لغةً** : الشِبه والشَبَهُ والشبيه : المِثل،والجمع أشباه ، وأشبَهَ الشيءُ الشيءَ: ماثله [١٢٢]

:- أما **اصطلاحا** ، فقد ذكر البلاغيون والنقاد الكثير من التعاريف له، يقول الجرجاني : " الشيئان إذا شبّه أحدهما بالآخر ، وكان ذلك على ضربين أحدهما : أن يكون من جهة أمرٍ بيّنٍ لا يُحتاج فيه إلى تأولٍ ، والآخر : أن يكون الشبه مُحَصّلاً بضرب من التأول " [١٢٣] ، ويذكر القزويني تعريفا للتشبيه فيقول : " هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ، وهو ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية ، ولا الاستعارة بالكناية ، ولا التجريد " [١٢٤] وهو عند ابن الأثير : " أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به " [١٢٥] . أما عند المحدثين فالتشبيه : "هو أسلوب في تصوير المعنى يقوم على مقارنة شيء بآخر كمقارنة القلوب بالحجارة في قوله تعالى : (**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ**

---

[١٢١] انظر ، عبد الفتاح عثمان ، التشبيه والكناية بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني ، مكتبة الشباب ، مصر ،١٩٩٣ ، صفحة ٨٠

[١٢٢] لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (شبه) ، المجلد الثالث عشر ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨، صفحة ٥٠٣

[١٢٣] أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، صفحة ١١٥

[١٢٤] الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني ، شرح محمد عبد المنعم خفاجي ، الجزء الثاني ، صفحة ٣٢٨

[١٢٥] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت ، ١٤٢٠ هـ ، الجزء الأول ، صفحة ٣٩٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) [١٢٦] أو مقارنة السماء بالزيت المغلي والجبال بالصوف المنفوش في قوله تعالى :(**يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩)** [١٢٧]) [١٢٨] ويذكر أحمد الهاشمي تعريفا للتشبيه قائلا : " والتشبيه اصطلاحاً عقد مماثلة بين أمرين ، أو أكثر ، قصد اشتراكهما في صفة ، أو أكثر ، بأداة : لغرض يقصده المتكلم "[١٢٩] ويصح القول إذاً إن التشبيه تصوير شيء بشيءٍ آخر عبر اشتراك الشيئين في صفة ما تجمع بينهما .

وكان التشبيه موضع اهتمام الدارسين والنقاد القدامى ، ومنهم المبرد الذي يقول: " والتشبيه جارٍ كثيرا في كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد " [١٣٠] وهذا يوضح مدى اهتمام العرب بالتشبيه في ما مضى ، وأنه أساس في كلامهم ، والقرآن ، الذي نزل بلسان قريش والعرب ، حافل بوسائل بيانية يألفونها ويفتنّون في توظيفها في كلامهم ، ومنها التشبيه ، ثم إن القرآن الكريم أراد أن يعجزهم بما برعوا فيه ، يقول الله تعالى : (**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**) [١٣١]

---

[١٢٦] سورة البقرة ، آية ٧٤
[١٢٧] سورة المعارج
[١٢٨] في البلاغة العربية علم البيان ، محمد مصطفى هدارة ، دار العلوم العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٩، صفحة ٣٣
[١٢٩] جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥،صفحة ٢٢٥
[١٣٠] الكامل ، المبرد ، الجزء الثاني ، مكتبة المعارف ، بيروت، صفحة ٧٩
[١٣١] سورة المنافقون ، آية ٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في هذه الآية تشبيه مرسل مجمل[١٣٢] يعد من روائع التشبيه في قوله تعالى :(**كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ**)، يقول الزمخشري : " شبهوا في استنادهم – وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير – بالخشب المسندة إلى الحائط ، ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط ، فشبهوا به في عدم الانتفاع " [١٣٣]

ورأي الألوسي في الصورة التشبيهية هذه ، فيه عمق وجمال ، يقول : " وجوز أن يراد بالخشب المسندة الأصنام المنحوتة من الخشب المسندة إلى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم " [١٣٤] ومكمن العمق في هذا الرأي يتمثل في أن النظر للمنافقين كان نظر الإعجاب بأجسامهم كما كانوا معجبين بالأصنام التي يعبدونها ويجلونها ويقدرونها ، ويلاحظ أنه قد تم تقديم للصورة بقوله (تعجبك أجسامهم) ثم ورد التشبيه.

ومن التشبيه الذي ورد في السور القصار ما جاء في آخر سورة الفيل في قوله تعالى : (**فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ**) [١٣٥] وهذا من التشبيه المرسل المجمل بذكر الأداة وحذف وجه الشبه ، أي أن الله تعالى جعل جيش أبرهة الأشرم مثل العصف المأكول ، يقول الألوسي : " كورق زرع وقع فيه الأكال ، وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقي صفراً منه ..... والتشبيه بذلك لذهاب أرواحهم وبقاء أجسادهم أو لأن الحجر بحرارته يحرق أجوافهم . ويضيف الألوسي : وذهب غير واحد إلى أن

---

[١٣٢] التشبيه المرسل هو ما ذكرت فيه الأداة ،والتشبيه المجمل هو ما لا يذكر فيه وجه الشبه ، ولا ما يستلزمه ، نحو : " النحو في الكلام كالملح في الطعام " فوجه الشبه هو الإصلاح في كلّ . مراجعة أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ،صفحة ٢٣٩ ، ٢٤٥ ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥

[١٣٣] الكشاف ، الزمخشري ، الفصل الرابع ، صفحة ٤٠٨

[١٣٤] روح المعاني ، شهاب الدين الألوسي ، الجزء الثامن والعشرون ، دار إحياء التراث العربي ، صفحة ٤٢٤

[١٣٥] سورة الفيل ، آية ٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المعنى كتبن أكلته الدواب وراثته ، والمراد كروث ، إلا أنه لم يذكر بهذا اللفظ لهجنته فجاء على الآداب القرآنية، فشبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث ، ففيه إظهار تشويه حالهم . وقيل المعنى كتبن تأكله الدواب وتروثه ، والمراد جعلهم في حكم التبن الذي لا يمنع عنه الدواب ، أي مبتذلين ضائعين لا يلتفت إليهم أحد ولا يجمعهم ولا يدفنهم كتبن في الصحراء تفعل به الدواب ما شاءت " [١٣٦] فهذه التشبيهات صورٌ تعتمل في الذهن بألفاظ قليلة تناسب قصر السور.

وفي سورة القارعة ترد صورتان في تشبيهين في قول الله عز من قائل :

(يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥)) [١٣٧]

فالتشبيه هنا يقدم صورة لأناس قاموا فزعين من قبورهم ، لا يعلمون الأمر ، فشبّهوا الله بالفراش الذي ينتشر بعضه في جهة غير جهة الآخر ، وهذا من التشبيه المرسل المجمل ، حيث ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه وهو (في الكثرة والانتشار) ، وفي هذه الآية يلاحظ أن التشبيه هو من النوع المرسل ليشكل صورة الجبال الثقيلة العظيمة التي تصبح مثل الصوف الملون المتطاير من خفته عند الندف ، يقول الرازي: " واعلم أنه تعالى وصف ذلك اليوم بأمرين (الأول) كون الناس فيه (كالفراش المبثوث)، وقال الزجاج : الفراش هو الحيوان الذي يتهافت في النهار ، وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره ، ثم إنه تعالى شبه الخلق وقت البعث ههنا بالفراش المبثوث ، وفي آية أخرى بالجراد المنتشر . أما وجه التشبيه بالفراش، لأن الفراش إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة ، بل كل واحدة منها تذهب إلى غير جهة الأخرى ، يدل هذا على أنهم إذا بعثوا فزعوا، واختلفوا في المقاصد على جهات

---

[١٣٦] روح المعاني ، شهاب الدين الألوسي ، الجزء الثلاثون ، صفحة ٦٨٤-٦٨٩

[١٣٧] سورة القارعة ، آية 4 - ٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مختلفة غير معلومة ، والمبثوث المفرق ، يقال بثه إذا فرقه " [١٣٨] ويقول : " والنفش فكّ الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض ، وفي قراءة ابن مسعود : كالصوف المنفوش "[١٣٩] .

ويظهر ، عند النظر في طبيعة هذه التشبيهات أن جلها كان من التشبيه المجمل المرسل ، فلم يذكر فيها وجه الشبه ، مراعاة للحال في بدء الدعوة ، وزيادة في البلاغة والإعجاز، كما ظهرفي رأي الرازي ، وما قاله في آية تتكون من خمس كلمات فقط ، والتشبيه المرسل يسهل تذكره للمسلمين المطاردين في أرض الله أول البعثة ، وفي ذلك بلاغة تعجز السامعين من عتاة قريش والعرب الذين سحروا بهذا الكلام ، فاتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسحر،قال تعالى ذكره : " فقال إن هذا إلا سحر يؤثر" [١٤٠] ، إذ سحرهم كلام الله تعالى بروعة بيانه وإعجاز لفظه .

وترد صورة تشبيهية جاءت على نوع التشبيه التمثيلي ، في قوله عزّ من قائل : **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤))** [١٤١] ، وفي هذه الآية يصور الله عز وجل المؤمنين لحظة لقائهم العدو في المعركة ، متراصين مصطفين بنظام لمواجهة أعدائهم ، بصورة البناء المنظم المرصوص كالحائط ، دلالة على تلاحم المسلمين وتعاونهم في المعركة في وجه العدو ، يذكر الطبري : " يقاتلون في سبيل الله صفاً مصطفاً ، كأنهم في اصطفافهم هنالك حيطان مبنية قد رص ، فأحكم وأتقن (كذا)*، فلا يغادر منه شيئاً ، وكان بعضهم يقول : بني

---

[١٣٨] تفسير الفخر الرازي ، الإمام محمد الرازي ، الجزء الثاني والثلاثون ، دار الفكر للطباعة والنشر، ص ٧٢-٧٣
[١٣٩] المرجع نفسه ، صفحة ٧٣
[١٤٠] سورة المدثر ، آية ٢٤
[١٤١] سورة الصف ، آية ٤
*هناك خطأ في طبعة دار الإحياء وطبعة الرسالة وطبعة دار هجر ، والصواب (قد رص ، فأحكم وأتقن بناؤها)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالرصاص " [١٤٢] وهذا الضرب من التشبيه قريب إلى الإدراك يصل العقل بسرعة مع ما فيه من جمال ، يقول الهاشمي " تشبيه التمثيل : أبلغ من غيره ، لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكر، وتدقيق نظر، وهو أعظم أثراً في المعاني ، يرفع قدرها ، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها . فإن كان مدحاً كان أوقع ، أو ذماً كان أوجع ، أو برهاناً كان أسطع . " [١٤٣]

ويظهر أن الصورة هنا شبهت بصورة ، فقد ذكرت أداة الشبه ، وحذف وجه الشبه ، وهو التعب في حمل النافع دون فائدة ، مما يناسب حال السور القصار التي لا ترد فيها أشكال الصور المركبة التي تناسب الآيات الطويلة في السور الطوال .

ويرد أسلوب التشبيه نفسه في آية أخرى ، وهي قوله تعالى : " **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥)** " [١٤٤] ويفسر الطبري الآية قائلاً : " ثم لم يعملوا بما فيها ، وكذبوا بمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، وقد أمروا بالإيمان به فيها واتباعه والتصديق به. (كمثل الحمار يحمل أسفاراً) يقول : كمثل الحمار يحمل على ظهره كتباً من كتب العلم ، لا ينتفع بها ، ولا يعقل ما فيها ، فكذلك الذين أوتوا التوراة التي فيها بيان أمر محمد ، صلى الله عليه وسلم ، مثلهم إذا لم ينتفعوا بما فيها ، كمثل الحمار يحمل أسفاراً فيها علم ، فهو لا يعقلها ولا ينتفع بها " [١٤٥] فالصورة تقابل صورة معروفة ألفها

---

[١٤٢] تفسير الطبري ، الجزء الثامن والعشرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١، ص ٩٨

[١٤٣] جواهر البلاغة ، أحمد الهاشمي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥،صفحة ٢٤١

[١٤٤] سورة الجمعة ، آية ٥

[١٤٥] تفسير الطبري ، الجزء الثامن والعشرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١، صفحة ١١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

العرب في حياتهم ، وهي صورة الحمار الذي يحملون عليه الأشياء ولا يعلم بمضمون حمله وكينونته، وهذه صورة مصوغة بما يلائم البيئة العربية البسيطة التي ألفها العرب .

ومن الملاحظ أن الصور المفردة التي وردت في آيات السور القصار، وكذلك التشبيهات الواردة في تلك السور ، قد روعي فيها الإيجاز وبساطة التركيب وعدم الإطالة في الصورة أو التشبيه، وهو ما ناسب قصر السورة التي نزلت غالبا في مكة أول البعثة ، وناسب أيضا حال الناس والوضع السياسي للدولة الإسلامية الناشئة ، وما لازم بداية نشأتها من التخفي وسرية الدعوة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

ظواهر فنية وأسلوبية في السور القصار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ظواهر فنية وأسلوبية في السور القصار

يلمس قارىء سور القرآن الكريم ، ولا سيما السور القصار ، نوعاً أخّاذاً من الموسيقى والإيقاع لا يلمسهما في أي نوع أدبي آخر، بل تعجز الأنواع الأدبية عن إدراكه أو مضاهاته ، ويجدر بالباحثين النظر والبحث في سر هذا الإعجاز القرآني . والبحث عن عناصر تشكله على هذا النحو الساحر الذي يبدو من أفانينه ما يبهر بعد كلّ تلاوة .

وما تمّ رصده من تجليات هذا الإيقاع يقع أغلبه ضمن ما يُدعى صور البديع والبيان ، ويقع بعض منه ضمن طرائق بناء الجملة على نحو يوفر ضروباً من الموسيقى المستمدة من طبيعة التراكيب .

وهذه الأنماط من التشكيل الموسيقي يمكن حصرها تحت مصطلح (التوازي). وهو مصطلح لم يألفه النقد العربي القديم ، وإنما ورد ما يفيد مفهومه ودلالته مثل : الترصيع والتصريع والتطريز والتشطير وتشابه الأطراف ورد العجز على الصدر والعكس والتبديل والتجزئة والتفويف والمقابلة والطباق والمناسبة والمماثلة والتوشيح والموازنة والمؤاخاة والتلاؤم والتسهيم والاشتقاق والإرصاد والطرد والجناس والسجع.

ويذكر سامح رواشدة ، في حديثه عن التوازي ، هذا الرأي قائلاً " ولعل النقد الحديث لم يأتِ بجديد كلّ الجدة حين تحدث عن هذه الظاهرة ، فالعرب قديماً فرقوا هذه الظاهرة تحت أسماء مختلفة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من مثل : الموازنة والتكرار والمقابلة والمشاكلة والنظم " [١٤٦] . وستُعرض هذه القضية في السور القصار لتتبّعها وإظهار ما أضفته من جمال على النص القرآني .

مفهوم التوازي

لغة : جاء في لسان العرب : " وزي: وزَى الشيءُ يَزِي: اجتَمع وتَقَبَّض. والوَزَى: مِنْ أَسماءِ الْحِمَارِ المِصَكِّ الشَّدِيد. ابْنُ سِيدَهْ: الوَزَى الْحِمَارُ النَّشِيطُ الشَّدِيدُ. وحِمارٌ وَزًى: مِصكٌّ شَدِيدٌ. والوَزى: القَصِيرُ مِنَ الرِّجَالِ الشَّدِيدُ المُلَزَّزُ الخَلْقِ الْمُقْتَدِرُ؛ والمُسْتَوْزِي: المُنْتَصِب المُرْتَفِع. واسْتَوْزَى الشيءُ: انْتَصَب. يُقَالُ: مَا لِي أَراكَ مُسْتَوزِياً أَي مُنتصباً،وأَوْزَى ظَهْرَه إِلى الْحَائِطِ: أَسْنَدَه؛ وعَيْرٌ مُسْتَوزٍ: نافِرٌ؛ وأَنشد بَيْتَ تَمِيمِ بْنِ مُقْبِلٍ:

ذَعرت بِهِ العَير مُسْتَوْزِيًا . وفي النَّوَادِرِ: اسْتَوْزَى فِي الْجَبَلِ وَاسْتَوْلَى أَي أَسْنَد فِيهِ. وَيُقَالُ: أَوْزَيْتُ ظَهْرِي إِلى الشيءِ أَسْنَدْته. وَيُقَالُ: أَوْزَيْته أَشْخَصْتُه ونَصَبْتُه، يقال: وَزَى فُلاناً الأَمْرُ أَي غاظَه، التَّهْذِيبُ: والوَزَى الطُّيُورُ؛ قَالَ أَبو مَنْصُورٍ: كأَنها جَمْعُ وَزٍّ وَهُوَ طَيْرُ الماءِ.

قَالَ أَبو البَخْتَرِيّ: فَوازَيْنا العَدُوَّ وصافَفْناهُم؛ المُوازاةُ: المُقابلة والمُواجَهةُ، قَالَ: والأَصل فِيهِ الْهَمْزَةُ، يُقَالُ آزَيْته إِذا حاذَيْتَه [١٤٧] ، وبالمعاني التي أوردها ابن منظور قال الفيروز آبادي في معجمه [١٤٨]،

---

[١٤٦] التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة،سامح رواشدة ، مجلة أبحاث اليرموك ، المجلد ١٦، العدد ٢ ، ١٩٩٨ ، صفحة ١٠

[١٤٧] لسان العرب ،ابن منظور ، الجزء الخامس عشر ، فصل الواو ، الطبعة الثالثة ، دار صادر ، صفحة ٣٩١

[١٤٨] انظر ، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ،الطاهر أحمد الزاوي ، (المعجم لـ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي ،دار الفكر، الطبعة الثالثة ، الجزء الرابع ، صفحة ٦٠٧ – ٦٠٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول ابن فارس : " الواو والزاء والحرف المعتل أو المهموز: أصيل يدلّ على تجمع في شيء واكتناز، يقال للحمار المجتمع الخلق : وزىً وللرجل القصير وزىً . وهذا غير مهموز . وأما المهموز فقال أبو زيد : وزّأت الوعاء توزيئا وتوزئة ، إذا أجدت كنزه " [١٤٩] .

وأقرب معنىً لغوي يفيدنا في بحثنا هو معنى المقابلة والمواجهة . فمعنى الاكتناز لا يفيد في بحثنا عن الظاهرة في السور القصار .

اصطلاحاً :

لم يظهر مصطلح التوازي ، بمعناه الاصطلاحي ، في الثقافة العربية قديما كما هو في الثقافة الغربية . ومن الواضح أن هذا المصطلح من المصطلحات الجديدة التي تسربت إلى النقد العربي من النقد الغربي ، لذا تعدّدت التعاريف الحديثة له ، فهو مرّة " نسق التقريب والمقابلة بين محتويين أو سردين بهدف البرهنة على تشابههما أو اختلافهما . ويتم التشديد على تطابق أو تعارض الطرفين بواسطة معاودات إيقاعية أو تركيبية " [١٥٠] ، وهو أخرى كما يعرّفه جيمس فوكس قائلا : " عبارة عن تماثل أو تعادل المباني أو المعاني في سطور متطابقة الكلمات ، أو العبارات القائمة على الازدواج الفني ، وترتبط ببعضها وتسمى عندئذ بالمتطابقة أو المتعادلة أو المتوازية ، سواء في

---

[١٤٩] معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ،. ١٩٧٩، الجزء السادس ، صفحة ١٠٧

[١٥٠] نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلانيين الروس ، ترجمة : إبراهيم الخطيب ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، ومؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ ، صفحة ٢٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر أو النثر ، خاصة المعروف بالنثر المقفى ، أو النثر الفني ، ويكثر استعمال التوازي بشكل واضح في الشعر ، فينشأ بين مقطع شعري وآخر ، أو بيت شعري وآخر " [١٥١]

وما يمكن أن يطلق عليه مصطلح التوازي ، بحسب مفهوم فوكس ، ما نجده من أساليب فنية في القرآن الكريم ، وفي السور القصار بخاصة . يظهر ذلك على نحو لافتٍ للانتباه مجسّداً في أشكال من البديع في الأنظمة الكلامية في اللغة ، يقول رواشدة: " التوازي سمة إيقاعية قلما يخلو أي شعر منها ، وتتجاوز الشعر إلى كثير من صيغ الخطاب الأخرى ، من مثل النثر والخطابة ، والنصوص الدينية – القرآن الكريم مثلاً – " [١٥٢]، وللتوازي دور كبير في إبراز جماليات النص وروعته ، على ألاّ يكون متكلفا مصنوعا لذاته ، " وأحسنه ما كان طبيعياً لأنه عندئذ يساعد على تنمية الصورة الفنية واطراد نموها ، وحيويتها ، كما يساعد على إبراز التجربة الفنية للشاعر فلا يصرفه عن هدفه الأساسي الذي أنشئت القصيدة من أجله ، بل يكون عاملاً مساعداً يجمع الجزيئات ويوحدها " [١٥٣] .

جاء نزول القرآن الكريم هذا الكتاب المعجز في لغته ، في وقت تهيأت فيه الظروف والأحوال لنزوله ، بحيث يمكن القول إنه كان الزمان الأمثل لنزول النص الكريم ، فأعطاهم الله سوراً قصيرة بليغة بداية البعثة ، تتحداهم بما برعوا فيه ، فلم يستطيعوا مجاراتها ، وكأن الله قد اختار هذه

---

[١٥١] (Fox , James J , the comparative study of Parallelism.Pp.60-61) نقلاً عن د.عبد الواحد حسن الشيخ . البديع والتوازي ، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية ، مصر ، الطبعة الأولى ،١٩٩٩ ، صفحة ٧

[١٥٢] التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة،سامح رواشدة ، مجلة أبحاث اليرموك ، المجلد ١٦، العدد ٢ ، ١٩٩٨ ، صفحة ٩

[١٥٣] د.عبد الواحد حسن الشيخ . البديع والتوازي، (م. س) ، صفحة ٢٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفترة من الزمن لينزل قرآنه على نبيه ، لطغيان الجهل وعمومه على الناس ، فجاء القرآن بكل ما تحتويه البلاغة في القول من نثر أو شعر ، فلا شعر يضاهيه ، ولا خطابة تدنو منه ، يقول زهير غازي : " بهذا المستوى من العربية نزل القرآن الكريم ، ولذلك عُدّ أعلى فصاحة وبلاغة ففيه من بعض خصائص الشعر كالفواصل والإيقاع المتوازن ولكنه ليس بشعر ، وفيه بعض خصائص النثر الفني كالسجع والتوازي ولكنه ليس متكلفاً ولا هو بسجع الكهان الغامض المتكلف ،إن فيه كل فنون العرب وأساليبهم عالية التركيب " [١٥٤] وهذا رأي صائب من الكاتب ، يرى فيه الباحث ما يطابق الواقع ويوافق الحال .

ولقد ذكر البلاغيون، كما ورد في كتب النقد القديمة ما يمكن دراسته ويندرج تحت ظاهرة التوازي من أشكال بلاغية ، فيذكر موسى ربابعة ذلك حين قال : " وقد وردت في كتب البلاغة العربية القديمة مفاهيم متعددة ومدعمة بشواهد شعرية يمكن لها أن تدرس تحت مفهوم التوازي ، وذلك من مثل : الترصيع ، والتصريع ، والتطريز ، والتشطير ، وتشابه الأطراف ، ورد العجز على الصدر ، والعكس والتبديل ، والتجزئة، والتفويف، والمقابلة ، والطباق ، والمناسبة ، والمماثلة ، والتوشيح والموازنة، والمؤاخاة ، والتلاؤم ، والتسهيم ، والاشتقاق ، والإرصاد ، والطرد " [١٥٥] ويضيف الباحث أيضاً : الجناس والسجع لهذه الأشكال البلاغية ، ومن أهم العناصر، التي يرتكز عليها

[١٥٤] في النص القرآني وأساليب تعبيره ، د. زهير غازي زاهد ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ٢٠١٢، صفحة ٥٧

[١٥٥] ظاهرة التوازي في قصيدة للخنساء ، موسى ربابعة ، مجلة دراسات ، المجلد الثاني والعشرون ، العدد الخامس ١٩٩٥ ، صفحة ٢٠٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مفهوم التوازي ، التكرار، فبالتكرار يتحقق نوع خاص من الإيقاع في الكلام ، فالقافية [١٥٦](الروي)[١٥٧] تتكرر في شعر العرب في كل قصيدة قديمة والسجع كذلك . وإن كررت كلمة أو جملة تَحَقَّقَ نوع أكبر من التكرار في النص ، وعبر هذا التكرار يتحقق جانب لغوي في مفهوم التوازي هو المقابلة والمواجهة ، وجانب صوتي في النص ، يؤدي إلى نوع من الموسيقي الداخلية في الكلام .

وعند تناول السور القصار بالبحث ، سنلمس أشكالاً من التوازي ظاهرة في المصطلحات البلاغية عند العرب قديما ،وهي تندرج تحت مصطلح التوازي ، بأشكاله، من توازٍ صوتي وصرفي وتركيبي .

التكرار

والتكرار من أهم ما يهتم به التوازي ، لكثرة ما يظهر في الكلام ، ولأثره في تشكيل الموسيقى الداخلية للنص ودوره في توكيد معناه . يقول ابن حجة : " إن التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى ، والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو

---

[١٥٦] القافية: هي من آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن، وقيل: هي آخر كلمة في البيت أجمع. انظر: الكافي في العروض والقوافي: ١٤٩.

[١٥٧] الرويّ: رَوِيّ الشِّعر، وَهُوَ الْحَرْف الَّذِي تُعقد بِهِ القافية. انظر جمهرة اللغة ، ابن دريد الأزدي ،تحقيق: رمزي منير بعلبكي ،دار العلم للملايين – بيروت ،الطبعة الأولى، ١٩٨٧م ،الجزء الثاني ، صفحة ٨٠٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو لغرض من الأغراض " [١٥٨] ويقول ابن معصوم في تعريفه : " التكرار ، وقد يقال : التكرير ، فالأول اسم والثاني مصدر من كررت الشيء ، إذا أعدته مراراً ، وهو عبارة من تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة ، ونكته كثيرة : منها التوكيد ..... ومنها زيادة التنبيه ..... الخ " [١٥٩] .

إذاً فالتكرار إعادة لفظ أو كلمة لمعانٍ يريد الكاتب توكيدها ، ويلحظ ظهور هذا الأسلوب في السور القصار، كقوله تعالى : (**كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥)**) [١٦٠] وفي هذه الآيات تأكيد للردع والإنذار ، وكلمة كلاّ ترد في السور المكية عادة .

وفي سورة قصيرة ثانية ، يرد التكرار كذلك في قوله تعالى : (**الْقارِعَةُ (١) مَا الْقارِعَةُ (٢) وَما أَدْراكَ مَا الْقارِعَةُ (٣)**) [١٦١] ، ويرد التكرار في سورة الهمزة ، وهو تكرار لكلمة (حطمة) في آيتين متتاليتين ، قال تعالى : (**كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَما أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥)**) واستخدم التكرار في قوله تعالى : (**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٦)**) [١٦٢] ، ويظهر التكرار واضحا في سورة الصف في قوله تعالى : (**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)**) فلقد كرّرت (ما لا تفعلون في الآيتين المتتاليتين) ، وفي كل المواضع التي ورد فيها التكرار في السور القصار، كان توكيد المعنى فيه واضحاً ، ترسيخاً للدلالات

---

[١٥٨] خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي ، تحقيق د.كوكب دياب ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١، الجزء الثاني ، صفحة ٤٤٩

[١٥٩] أنوار الربيع في أنواع البديع ، ابن معصوم المدني ، تحقيق شاكر هادي شكر ، الجزء الخامس ، مطبعة النعمان، النجف ١٩٦٩، صفحة ٣٤٥

[١٦٠] سورة التكاثر

[١٦١] سورة القارعة

[١٦٢] سورة الشرح

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الواردة فيها . أما دور الصوت وترداده وتكراره في إيقاع الموسيقى في النص ، فلا يضير البحث في موسيقى النص القرآني ، تنزيها له ، فالموسيقى الصوتية وسيلة جمالية تضفي على الآي القرآني نغماتٍ تساعد على الحفظ ، فضلاً عمّا تتركه في أعماق النفس من راحةٍ تخفّف عن المسلمين ، ما كانوا يعانونه في أول عهدهم بالكتاب والقرآن ، في مبدأ البعثة جرّاء ما يلاقونه من ويلات من المشركين ، وهذا نلمسه في السور القصار بشكل واضح أكثر من طوال السور ، ولا تنتقص الموسيقى من مكانة القرآن السامية البتة بل تخدمه وتوظّف لمصلحة النص ، يقول إبراهيم أنيس : " فليس يعيب القرآن أن نحكم على أن في ألفاظه موسيقى كموسيقى الشعر ، وقوافي كقوافي الشعر أو السجع ، بل تلك ناحية من نواحي الجمال فيه " [١٦٣].

إنّ تكراراً بعينه في النص ، وُجِد في النصوص الشعرية قديماً وحديثاً ، وهو يمنح النص رونقاً وحيويةً وموسيقى جذابة تشد السامع :

يقول شوقي :

سلـوا قلبـي غداة سـلا وتابـا لعـل على الجمال له عتابـا [١٦٤]

فتكرار الحروف في النص السابق كالسين واللام ، والتاء والباء ، خدم النص ولم يثقل عليه ، ولم يرهق السامع ، وهو هنا ليس متكلفاً مقصوداً لذاته ، فالموسيقى المستفادة من تكرار الحروف خدمت النص بما أضفته عليه من نغم ، وهذا ما يُلحظ عند غيره من القدماء كقول الشاعر :

ألا لا يـجهلـن أحـدٌ علينـا فنـجـهل فـوق جـهل الجـاهليـنا [١٦٥]

---

[١٦٣] موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٢ ، صفحة ٣٠٦

[١٦٤] الشوقيات ، أحمد شوقي ، الجزء الأول ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩٥ ، تحقيق د. إميل أ. كبا ، صفحة ٩٤

[١٦٥] ديوان عمرو بن كلثوم ، تحقيق وشرح د.إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ ، صفحة ٧٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالموسيقى التي حققها تردد الجيم واللام في البيت جاءت بلا تكلف في معلقة كان هذا البيت من أشهر أبياتها .

وفي السور القصار جاء تكرار الحروف المتشابهة في صفاتها والمتوافقة في تركيبها على نحو عجيب معجز ، ففي سورة الناس يقول تعالى : (**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)**)

فقد تكرر لفظ الناس كما تكرر حرف السين في نهاية الآيات ، فطغى صوت هذا الحرف على تركيب النص بأكمله . والسين حرف همس ، يتوافق مع موضوع النص من وسوسة الشيطان للإنسان التي تكون همساً وبصوت خفي في حديث النفس والصدر،وفي تهامس المجرمين وصانعي المكائد فيما بينهم حتى لا يسمعهم أحد. ويأتي حرف الصاد الذي يتفق مع حرف السين في صفة الهمس ، مؤازرا للسين ،وذلك في لفظة"صدور"،وتتكرر كلمة الناس خمس مرات،وفي السادسة تأتي في الخنّاس والمقطع الأخير منها في جناس بديع ، وفاصلة موحدة تنهي جميع الآيات بصوت (ناس) . ويظهر في هذه السورة شكلٌ من السجع الذي عرفه العربي في الشعر ،لكنه يختلف عنه في النظم ، فلا هو بالشعر ولا هو بالنثر الذي عرفوه من سجع الكهان وما شابه ، ومما يلاحَظ أن الحرف الأخير في كل السورة محرك بالكسر في الفاصلة ، وأن ثلاث عشرة كلمة في السورة من أصل عشرين محركة بالكسر (مجرورة) وهذا ما يقوي الوحدة والتمركز في العمل الفني فيعطي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إيقاعاً[١٦٦] خاصاً للآيات ، يمنح النص طواعية وسهولة تيسران حفظه ، مع يسر في الترديد يعين على حفظ السورة ، ويظهر في الآيات تكرار كلمتين من الحروف نفسها (يوسوس و وسواس) وهذا التكرار غير المتكلف يحقق الإيقاع ، ويسهم في جمالية النص .

ومن التكرار ما جاء في سورة الفلق : (**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ (٥)**)

ويظهر الاعتماد على صوت حرف القاف في هذه السورة ، إذ يتكرر ست مرات ، ومرّتين منها في حركة آخر الفاصلة أو ما يسمى بالروي في الشعر أو السجع، وأربعا في داخل الكلمات ، وعند إنعام النظر في فواصل الآيات السابقة ، نجدها انتهت كلها بأصوات حروف قلقلة [١٦٧] (القاف والباء والدال)، وهي حروف ثلاثة شديدة مجهورة ، وهذه الحروف تناسب الآيات ، فالسحر والقرع ظاهران فيها وهذه الحروف يقرع على مخارجها ، كما يحدث في الخلق والانقسام والفلق ، يقول جلال الحنفي :" إن حروف القلقلة إنما تعرف كغيرها من الحروف بمعالمها الظاهرة لأول وهلة وذلك بالقرع على مخارجها " [١٦٨] ، ويذكر الدكتور محي الدين رمضان القاف واصفاً إياها بقوله : " ويشبه صوتها في الطبيعة صوتُ شقّ جسم وقلعه ، وصوتُ الغراب ، فصوتها أقصى لساني مهموس مستعلٍ مقلقل " [١٦٩] وتظهر الشين بوضوح في السورة فتتكرر أربع مرات في كلمة " شر " والشين

---

[١٦٦] الإيقاع : حركات متساوية الأدوار لها عودات متوالية، انظر لاروس . المعجم العربي الحديث . د. خليل الجر. مكتبة باريس"٦. ١٩٧٣ ص: ٢٠٥.

[١٦٧] حروف القلقلة (القاف ، والطاء ، والباء ، والجيم ، والدال)

[١٦٨] قواعد التجويد والإلقاء الصوتي ، جلال الحنفي ، الجمهورية العراقية ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ١٩٨٧، صفحة ٢٦١

[١٦٩] في صوتيات العربية ، محي الدين رمضان ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان ، صفحة ١٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حرف يفيد التفشي ، " والتفشي كثرة انتشار خروج الهواء بين اللسان والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق بالحروف ، وحرف التفشي هو الشين فقط على المشهور " [١٧٠] والشر تفشى بشكل كبير في الدنيا ، وهو سبب إرسال الرسل والأنبياء ، فالمتأمل في النص وحروفه يجد ما يربط الحروف بموضوع الآيات عامة . ويُلحظ في السورة تنوع الفواصل من القاف والباء والدال ، وهذا ما يكسر من نمطية الصورة التقليدية للشعر العربي القديم (العمودي) ، ويؤكد الإعجاز البياني في القرآن ، وهذا ما أعيا الكفار أن يعيبوا على القرآن أن تنوعت فواصله أو قوافيه ، وإن فارق عادة العرب في الوزن والقافية ، وهذا أدعى للقول بإعجازه . وكذلك لم يعتبره واحد من العقلاء منهم شعراً ، بل لم يستطيعوا النظم على منواله ، وإن حاول كما فعل مسيلمة الكذاب ،الذي ثبت للجميع ضعفه وكذبه .

وعند النظر في سورة الإخلاص ، نجد قوله تعالى :

(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (٤)) إن بداية الأمر بالنطق في كلمة (قل) ، تعني قصد التكرار الذي هو حاصل بالآيات على نحو بيّن مع التنغيم، وجميع الحروف المكونة للسورة حروف مجهورة عدا الهاء والصاد . ثم إنّ حرف الدال في هذه السورة يتكرر في الفواصل ، وهو صوت شديد مجهور مرقق ، فضلا عن كونه حرفاً من حروف القلقلة ، يعطي نغمة قوية تتناسب مع قوة الأمر بتوحيد الإله الذي هو أهم عنصر في دين الله . وكأني بهذه الحروف المجهورة تشعر القارىء بمضمون الآية ، والجهر بتوحيد الله ، فصفتها الجهر ، والأمر بقول الألوهية مفروض على المؤمنين هنا . ويتكرر في الآيات لفظ الجلالة مرتين ، مشعرا

[١٧٠] تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ ، صفحة ١٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القارىء بالرهبة ، مذكرا إياه بمضمونها ، كما يتكرر لفظ (أحد) مرتين في بداية الآية الأولى ونهاية الآية الأخيرة ، وهذا يؤكد مضمون السورة وموضوعها ، والإخلاص فيها لرب البشر كلهم الواحد الأحد .

وتستمر حروف القلقلة في الظهور، في السور القصار ونهاياتها ، في سورة الفلق والمسد والإخلاص ، وتعلق الدكتورة إيمان الكيلاني على تشابه فواصل سورتي الإخلاص والفلق في الانتهاء بحرف قلقلة قائلة : " ناهيك عن اتفاق فواصل السورتين في الانتهاء بحرف مقلقل هو "د" في الإخلاص موافقة لـ " أحد " و " صمد " ، والقاف والباء والدال في " الفلق " ؛ مما يفسر التشابه في قوة الإيقاع وشدته في السورتين الكريمتين ، على أن الإخلاص كما جاءت في إخلاص العبادة والتوحيد للأحد وحدت الفاصلة ولم تنوعها أو تبدلها، ليلحّ حرف الدال خاصة على السامع ، ويجعله يستحضر كل الكلمات المنتهية به ، في حين أن الفلق راوحت بين منابع المستعاذ منها لتنوعها وتعددها ؛ فجاءت الفاصلة مقلقلة بالقاف أو الباء أو الدال مشيرة إليها ، منبهة عليها . "[١٧١] وفي سورة المسد ،جاء قوله تعالى :

(تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ (٢) سَيَصْلى نَارًا ذاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (٥)) وفي هذه الآيات يظهر حرف الباء في الفواصل أربع مرات ، وخمساً في داخل الكلمات لوجود الحرف المضعف في تبّ ، وهذا الصوت المجهور الشديد المقلقل يوافق مضمون التشهير بأبي لهب ، الذي عرفت بقصته قريش جميعها ، مما دعا زوجته أم جميل للمجيء بحثا عن النبي عند سماعها السورة ، وهذا يدل على انتشارها بين الناس

[١٧١] المعوذتان دراسة أسلوبية ، إيمان الكيلاني ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ، المجلد (٨) العدد (٣) تموز ٢٠١٢ ، صفحة ٢٣٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسرعة ، يقول الثعالبي في تفسيره : " ورُوِي في الحديثِ أنَّ هذهِ السورةَ لما نزلتْ وقُرِئَتْ بَلَغَتْ أُمَّ جميلٍ فَجَاءَتْ أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ جَالسٌ معَ النبي صلّى الله عليه وسلّم في المسجدِ وَبِيَدِهَا فِهْرُ حَجَرٍ، فأخَذَ اللَّهُ بِبَصَرِهَا وقَالَتْ: يا أبا بكرٍ بَلَغَنِي أنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي، وَلَوْ وَجَدْتُه لَضَرَبْتُه بِهَذَا الفِهْرِ" [١٧٢] ، وهذا يدل على سرعة انتشارالسورة، وشدة أذاها لأبي لهب وزوجته . وجاءت التاء فيها خمس مرات ، واللام ست مرات ، والهاء ستاً ، والنون أربع مرات ، وإن حرّك التنوين وقرِىء ولم يسكّن زدنا النون ثلاثاً أخرى .

وتطغى الدال على سورة الهمزة ، وهي حرف قلقلة ، فيه شدة وجهر كما سبق ذكره ، ويلحظ أن صوته طغى على معظم الأصوات في السورة تماماً ، كما حدث في السور الثلاث السابقة ، يقول تعالى :

(وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَما أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)) فقد تكررت الدال اثنتي عشرة مرة في آيات تسع . أما حرف الهاء فتتكرر سبع مرات ، ومع تسكين التاء المربوطة يتضاعف العدد إلى أربع عشرة هاءً عند الوقف ، وفي علم التجويد والقراءة القرآنية يذكر جلال الحنفي أنّ : " الهاء حرف ينتمي إلى حروف الإخفاء" [١٧٣] وكأن الحروف المستخدمة في السور القصار كانت تساعد على التخفي والستر الذي اتخذه المسلمون أول أمرهم في مكة ديدناً ، وكأن أصوات هذه الهاء تشعر المتلقي بهول المفاجأة يوم القيامة ، أما حرف الميم فيتكرر أربع عشرة مرة كذلك ، ويظهر الإعجاز الرباني في اختيار الحروف

[١٧٢] الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، الثعالبي ، تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ ، الجزء الخامس ، صفحة ٦٣٧

[١٧٣] قواعد التجويد والإلقاء الصوتي ، جلال الحنفي ، صفحة ١٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في هذه السورة ، ومنها الهمزة التي وردت بشكل واضح سبع مرات ، إذا أخذنا بالحسبان همزة (الذي والتي) كما تلفظ في بداية الكلام ، ويظهر كيف أن النص استخدم الهمزة في (مؤصدة) ولم يستخدم الواو ، وفي هذا يقول فاضل السامرائي : " أما اختيار الهمز فله دلالته ، ذلك أن الهمزة حرف ثقيل شديد وهي على كل حال أثقل من الواو . فاختار الهمزة على الواو لثقلها وشدتها لأن الموقف شديد وصعب فهي المناسبة لثقل ذلك اليوم وصعوبته وشدته ..... وإن النطق بها لثقيل فإذا قال (مؤ) كان كأن الشخص يعاني من أسر ثقيل . فهي أنسب وأدلّ على الكرب والثقل من التسهيل والنطق بالواو " [١٧٤] ويظهر جلياً كيف أن هناك علاقة وثيقة بين الحروف المختارة في الكتاب العزيز وأصواتها وموضوع الآية والإحساس الذي يشعر به من يتلوها ، ولا شك في أن هذا من أسرار الإعجاز القرآني. وتتكرر اللام أربعاً وعشرين مرة باحتساب المشددة منها ، وهي حرف إخفاء كما يذكر الحنفي " ويقع الإخفاء في حروف ويمتنع في حروف ...أما الحروف التي يقع فيها فهي الراء واللام والضاد والهاء والميم والنون والواو والياء . ويشترط في هذه الحروف أن لا تكون مشددة " [١٧٥] وهذه الحروف استخدمت بكثرة في السور القصار مما يساعد على التخفي ونقل المعلومة بسريّة . ولعدم وضوح الصوت لدى التلاوة بصوت منخفض، يتردد ظهورها في سور كثيرة كالعصر والقدر والتين والهمزة والكافرون والكوثر والفيل والماعون.

وعند النظر في سورة القدر ، في قوله تعالى : **(إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَما أَدْراكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ**

[١٧٤] لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، فاضل السامرائي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٩٩ ، صفحة ٢٠٦

[١٧٥] قواعد التجويد والإلقاء الصوتي ، جلال الحنفي ، صفحة ٢٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)) يظهر أنّ الراء فيها تتكرر إحدى عشرة مرة ، وهي من حروف الإخفاء كما سبق ذكره ، وترد النون مع احتساب حركة التنوين عشراً، وهي حرف إخفاء كذلك، ويقول الحنفي عن الراء:" فإن كان ما قبلها ساكناً وهو ليس حرف مدّ كان ذلك من مباحث الإخفاء " [١٧٦] ونرى كيف سبقت الراء في كل فواصل السورة بحرف ساكن ، وهذا يثبت أنّ هناك إبداعاً في صوغ الحروف لاستثمار موسيقاها وإن كان ذلك في أول البعثة ، فهذه الصياغة للحروف تشي بشيء من الملاءمة لحال المسلمين واضطرارهم إلى التخفّي من الكفار .

ويتكرر صوت اللام في سورة الفيل إحدى عشرة مرة ، كما تتكرر الجيم خمس مرات ، قال تعالى : (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)**)

واللام حرف إخفاء ، والجيم واللام صوتان مجهوران يحققان بظهورهما الموسيقى ، والمدقق في استعمال الجيم وموقع ورودها ، في الآيات الكريمة ، يلحظ أنها وردت مع كلمات قوية تشير للعذاب والعقاب للعُصاة الظلمة ، وهو ما يناسب السور المكية بعامة والقصار فيها بخاصة في أول زمن البعثة ، فهذه الموسيقى السريعة تناسب موضوع التبشير والتحذير والزجر والوعيد، الذي ظهر في السور المكية بشكلٍ جلي ، ولا يناسب هذا الإيقاع السريع السور الطوال ، التي تتصف بالتفصيل والإيضاح لتعاليم الدين وتفصيلاته . فمقتضيات التشريع تحتاج لبسطٍ وتوضيح ، والسور القصار لا تخدم هذا الهدف ، ومما يستحق النظر فيه أن مدّعي النبوة الكذابين انتبهوا إلى الموسيقى القرآنية

[١٧٦] قواعد التجويد والإلقاء الصوتي ، جلال الحنفي ، صفحة ١٩٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واعتماد نهايات الفواصل في النظم القرآني ، وحاولوا معارضة القرآن وبخاصة السور القصار، مما يشير إلى إحساسهم بالموسيقى الظاهرة في السور القصار، فلم يحاولوا معارضة السور الطوال ، بل اختص قرآن مسيلمة المكذوب بالاعتماد على السور القصار لتقليدها ، فمسيلمة تشبث بالسور القصار وقلّدها لما فيها من موسيقى ، فقال كما يروى : " يا ضفدع نقى كم تنقين، أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين ، لا الماء تكدرين، ولا الشراب تمنعين " [١٧٧] وهناك من قال " ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى ، أخرج من بطنها نسمة تسعى ، من بين شراسيف وأحشى " [١٧٨] وكل من ادّعى النبوة أو حاول تقليد القرآن ومعارضته ، لم يجرّب ذلك إلاّ في تقليده قصار السور .

ويرد حرف النون في سورة التين سبع عشرة مرة ، وإذا حُرّك آخرُ(أجرٌ و تقويمٍ) ولم يوقف عليها صارت تسع عشرة مرة ،والنون أكثر الحروف وروداً في التشكيل القرآني [١٧٩]، يقول الزركشي : " قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاقه بالنون ، وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك ... وجاء القرآن على أعذب مقطع وأسهل موقف " [١٨٠] فالموسيقى القرآنية تساعد هنا على نقل المعلومة وتيسير الحفظ ، لذا يظهر أثرها أكثر من غيرها في السور القصار .

---

[١٧٧] المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ،أحمد بن محمد القسطلاني ، تحقيق صالح الشامي،الجزء الثاني ،المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩١ ، صفحة ٥١٠

[١٧٨] المرجع نفسه ، صفحة ٥١٠

[١٧٩] انظر ، محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، دار عمار ، عمان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦ ، صفحة ٢٩٦

[١٨٠] البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد الزركشي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،الجزء الأول ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ،الطبعة الثانية ، صفحة ٦٨ - ٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال تعالى :(**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحاكِمِينَ (٨)**)[١٨١] وفي هذه السورة تتكرر الدال ست مرات ، والراء أربع مرات ، وما هذا إلا لاستثمار الصوت في تشكيل موسيقى الكلام بلا تكلف ، فيبهر من سمع ، فيعلق في الأذهان بسرعة ويسر .

وفي سورة الانشراح ، يقول تعالى :

(**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)**) تتكرر الراء في هذه السورة ثلاث عشرة مرة ، والراء حرف يتميز عند نطقه بالتكرار والاهتزاز على طرف اللسان فهو حرف تكرير ، " والتكرير ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالحروف ، وحرفه الراء فقط " [١٨٢] وهذا يوحي بتكرار العسر واليسر وترددهما في هذه الحياة ، وكذلك يناسب استمرارية رفع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى آخر الزمن ، والرغبة في الله وعبوديته التي يجب أن تستمر راسخة في قلب الإنسان المؤمن ، فالحرف مناسب جدا لفكرة السورة وموضوعها ، وقد جاءت غاية في الإبداع في صياغتها وتناسق حروفها . وأيضا تتكرر في السورة العين خمس مرات ، وهي حرف بين الرخاوة والشدة في النطق ، وكأنها تذكر بطبيعة الحياة وما فيها من شدة ورخاء .

---

[١٨١] سورة التين

[١٨٢] تاريخ آداب العرب ، مصطفى صادق الرافعي ، الجزء الأول ، صفحة ١٠٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما سورة الشمس : (**وَالشَّمْسِ وَضُحاها (١) وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها (٢) وَالنَّهارِ إِذا جَلاَّها (٣) وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشاها (٤) وَالسَّماءِ وَما بَناها (٥) وَالْأَرْضِ وَما طَحاها (٦) وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها (٧) فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها (٩) وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْواها (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقاها (١٢) فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ناقَةَ اللَّهِ وَسُقْياها (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاها (١٤)وَلا يَخافُ عُقْباها (١٥)**) ، فيظهر فيها صوت حرف (الهاء) في ضمير الغائبة في رويها ، والهاء صوت مهموس ، ولكنه هنا مع ألف المد وُظف للتنبيه، فاستخدام الـ (ها) يشد انتباه المتلقي ، ويزيد هذه الوظيفة توكيداً القسم الوارد في القسم الأول من السورة ، فيرتبط بالقسم الذي توزع على متن الآيات ، ليناسب موضوع الآية من الإنذار والتحذير ، وهذه النغمة الصوتية تشكل جواً ملائماً لموضوع التبشير والإنذار ليرسخا في الذهن أولاً ، وليكون المعنى مصحوباً بما يناسبه من أصوات.

هذه بعض الأمثلة من السور القصار على تكرار الحروف فيها مما يضفي على النص موسيقى لا تجدها على هذا النحو في طوال السور ، فهي في السور القصار تحقق توازيا صوتياً بين أجزاء الآيات .

السجع والفاصلة

يعدّ السجع من أهم الظواهر الإيقاعية في النص الكريم ، فالسجع يحدث توافقاً نغميا في الآيات ، لذا يعدّ من أشكال التوازي الصوتي ، والسجع في القرآن هو الفاصلة فهما أمر واحد ، وإن تجنب بعض البلاغيين مصطلح السجع خشية أن يشبَّه القرآن بالشعر أو النثر . ويقع السجع في مقدمة عناصر الموسيقى الداخلية في الكلام ، إذ يتحقق من خلاله من الإيقاع ما لا يتحقق من سواه

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من العناصر ، فهو في الكلام بمنزلة الروي في الشعر، يذكر الجاحظ في باب من الأسجاع في الكلام قصة تدل على أهميته، " قيل لعبد الصّمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي: لم تؤثر السجع على المنثور، وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟ قال: إن كلامي لو كنت لا آمل فيه إلا سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك ، ولكني أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع ، والآذان لسماعه أنشط ، وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلّت. وما تكلمت به العرب من جيّد المنثور، أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره " [١٨٣] ، وهذا القول لبشرٍ يريد به نشر كلامه ، وتحفيظ طلابه ، فكيف بكلام جعله الخالق متعبداً بتلاوته ،فما فيه من جمله يعيننا على حفظه بطرائق معجزة علمها من علم ، وجهلها من جهل ، والسجع منها ، " والسجع تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد [١٨٤] وهو مأخوذ أصلاً من سجع الحمامة والناقة، يقول الجوهري:"وسجعت الحمامة، أي هدرت. وسجعت الناقة، أي مدت حنينها على جهة واحدة" [١٨٥] ويعرف ابن فارس السجع فيقول : " السجع في الكلام: أن يؤتى به وله فواصل كقوافي الشعر" [١٨٦] ، ويظهر أكثر من تعريف لكلمة فواصل ، أرى أنه دليل على عدم التفريق بين المصطلحين ، أي بين الفاصلة والسجع ، فإن كانت الفاصلة في القرآن والسجعة في النثر ، فكلتاهما واحدة في التطبيق والمعنى ، وإن اختلف اللفظ، ولا فائدة في الخوض في الحرب التي دارت بين فريقين ، أحدهما يقول بالسجع في القرآن والآخر يقول بالفاصلة في القرآن، وهما واحد ، يقول ابن سنان عن السجع :

---

[١٨٣] البيان والتبيين ، الجاحظ ، دار ومكتبة الهلال، بيروت ،١٤٢٣ هـ ،الجزء الأول ، صفحة ٢٣٩

[١٨٤] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، الجزء الأول ، صفحة ٢١٠

[١٨٥] الصحاح في اللغة ، الجوهري ، الجزء الثالث ، صفحة ٣٦٣

[١٨٦] مجمل اللغة لابن فارس ، أحمد بن فارس القزويني الرازي ، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان ،مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية ،١٩٨٦ م ، الجزء الأول ، صفحة ٤٨٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" السجع محمود إذا وقع سهلاً مثيراً بلا كلفة ولا مشقة ، وبحيث يظهر أنه لم يقصد في نفسه ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظه " [١٨٧] ويقول ابن الأثير : " ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع من الكلام وإنما تضمن القرآن غير المسجوع لأن ورود غير المسجوع معجزاً أبلغ في باب الإعجاز من ورود المسجوع ، ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعاً " [١٨٨] فالفاصلة القرآنية ، بحسب هذا القول، قد تكون مسجوعة أو غير مسجوعة ، لأن الفواصل نهايات الآيات عامة وإن كانت غير مسجوعة ، أما السجع فقد يكون صنفاً من صنوف الفواصل القرآنية ، لذلك سيعنى البحث بأنواع السجع الوارد في السور القصار ، وإن سماها البعض فاصلة فلا بأس ، ولكن ما يهمنا هو الفاصلة المسجوعة ، فنحن نبحث في شكل من أشكال التوازي الصوتي الوارد في السور القصار وآياته التي ورد فيها كثيرة ، ومن الأمثلة على السجع سورة التكاثر، يأتي السجع في الراء في أول آيتين ، ثم يتبادل الدور مع الميم والنون ، وهما من مخارج صوتية متقاربة ،فالميم صوت أنفي شفهي مجهور مرقق أغنّ ، والنون صوت أنفي لثوي مجهور مرقق أغن، فاللثة والشفة قريبتان وصفات الحرفين واحدة ، قال تعالى : (**أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ (٢) كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)**) ويظهر الأمر نفسه في سورة الانشراح ، قال تعالى : (**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٦) فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)**) ، حيث تنتهي الآيات الأربع الأولى بالكاف ، فتنتقل للراء فالباء .

---

[١٨٧] سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ،القاهرة ١٩٥٣. صفحة ١٧١

[١٨٨] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، الجزء الأول ، صفحة ٢١٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السجع المتساوي

وهو بحسب الدكتور إبراهيم علاّن ، " ما تساوت فيه الجملتان في عدد الكلمات " [١٨٩] فإن تساوى عدد الكلمات مع الآية التي تليها فهو ضرب من السجع ، وهذا يظهر في الكثير من السور القصار ، كقوله تعالى في سورة الكوثر : (**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢)** " [١٩٠] وقوله تعالى : (**مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلهِ النَّاسِ (٣)**) [١٩١] أو قوله تعالى : (**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)**) [١٩٢] ، فهنا ترد أربع كلمات ثم أربع غيرها ، وتستمر السورة على هذا المنوال (**وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ (٥)**) ، خمس كلمات فخمساً أخرى . وفي سورة الهمزة ، تتكرر في كل الآيات سوى آيتين اثنتين ، قال تعالى : (**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَما أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥)**) [١٩٣] وبعدها ترد آية بثلاث كلمات ، ثم أربع ، ثم تأتي آخر آيتين ثلاثاً ثلاثاً في قوله تعالى : (**إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)**) [١٩٤] وترد الظاهرة نفسها في سورة العاديات ، قال تعالى : (**وَالْعادِياتِ ضَبْحاً (١) فَالْمُورِياتِ قَدْحاً (٢) فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً (٣)**) [١٩٥] وهنا تتكرر كلمتان في كل آية ، ثم تتحول لثلاث في الآيات (**فَأَثَرْنَ**

---

[١٨٩] البديع في القرآن أنواعه ووظائفه ، إبراهيم محمود علان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ ، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ، صفحة ١٦٨

[١٩٠] سورة الكوثر

[١٩١] سورة الناس

[١٩٢] سورة الفلق

[١٩٣] سورة الهمزة ، الآيات ١-٥

[١٩٤] سورة الهمزة ، الآيات ٨-٩

[١٩٥] سورة العاديات ، آية ١-٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بِهِ نَقْعاً (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً (٥))[١٩٦] ثم تتحول لأربع في الآيات (**إِنَّ الْإِنسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨)**) [١٩٧] .

والنوع نفسه من التوازي المجسّد بالسجع يظهر في سورة الفيل ، في قوله تعالى :(**وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤)**)[١٩٨] والكثير من الآيات شواهد على هذا الصنف من السجع المتساوي .

السجع المتوازي

وهو، كما يذكر العلماء : " أن يراعى في الكلمتين الوزن وحرف السجع كالقلم والنسم " [١٩٩] وهو عند التطبيق على السور يتمثل في ، أن تكون الكلمات الأخيرة في الآيات متساوية في عدد حروفها ، والحرف الأخير متوافق فيها ، وهو ظاهر في الكثير من السور القصار .

قال تعالى : (**تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ (٢) سَيَصْلى نَارًا ذاتَ لَهَبٍ (٣)**) [٢٠٠] ، وعند الوقوف على الباء المشددة في وتبّ . تشعر أن الواو جزءٌ من الكلمة فتكون ثلاثة حروف صوتياً وإن وُقف عليها ، وهي توافق عددياً كسب و لهب. وفي سورة الانشراح ظهور لهذا النوع من السجع ، قال تعالى : (**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)**) فالكلمات هنا تنتهي كلها بحرف واحد وضمير واحد أيضا هو

---

[١٩٦] سورة العاديات ، آية ٤-٥
[١٩٧] سورة العاديات ، آية ٦-٨
[١٩٨] سورة الفيل ، آية ٣-٤
[١٩٩] التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ، عالم الكتب القاهرة ،الطبعة الأولى، ١٩٩٠م ، الجزء الأول ، صفحة ١٩٠
[٢٠٠] سورة المسد

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكاف ، وعدد حروفها متساوٍ ، فهي أربعة ، وتنتهي السورة كذلك بهذا النوع من السجع ، مع تغير الحرف الأخير في الكلمة : (**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)**) [٢٠١] ، مع تشابه حرف العطف الفاء في بداية الكلمة .

وفي سورة الفيل ، قال تعالى : (**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)**) ، وفي كامل السورة يكون السجع في الكلمات المنتهية باللام والمكونة من خمسة حروف ، عدا كلمة أبابيل .

وفي سورة العصر : (**وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)**) وكل هذا يشكل توازياً صوتياً في الآيات والسور.

ومن أشكال السجع الذي يسهم في تحقيق التوازي ، ما يسمّى (**السجع المطرّف**)، وهو اختلاف عدد الحروف في كلمتي الفاصلتين ، ومنه في السور القصار، قوله تعالى : (**مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥)**) [٢٠٢] فكلمة الخناس تختلف في عدد حروفها عن الناس .

---

[٢٠١] سورة الانشراح
[٢٠٢] سورة الناس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي قوله تعالى :(**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣)**) [٢٠٣] وكلمات الفواصل الثلاث هنا تختلف في عدد الحروف ، وفي آيات السور القصار كثير من هذه الأمثلة .

وأنماط السجع المتوازن والمتوازي والمرصع والمتماثل[٢٠٤] كلها تسهم في صنع ظاهرة التوازي في الآيات .

الازدواج

يظهر التوازي في السور القصار عبر أشكال مختلفة من أنماط البلاغة ، ومن هذه الأشكال الازدواج ، الذي يعني ، بحسب الرازي : " أن يكون المتكلم بعد رعايته الأسجاع ، يجمع في أثناء القرائن بين لفظتين متشابهتي الوزن والروي " [٢٠٥] وعرض مثالاً على ذلك قوله تعالى : (**وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢)**) [٢٠٦] وذكر المثال نفسه أبو الحسن الجرجاني في التعريفات ولكنه أسماه تضمين المزدوج ، وعرفه قائلاً : " هو أن يقع في أثناء قرائن النثر والنظم لفظان مسجعان بعد مراعاة حدود الأسجاع والقوافي الأصلية " [٢٠٧] وهذا الشكل من التوازي ظهر في سورة الهمزة ، في قوله تعالى : (**وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١)**) ويظهر كيف أن الكلمتين همزة ولمزة ، من وزن واحد

---

[٢٠٣] سورة الإخلاص ، آية ١ - ٣

[٢٠٤] انظر ، معجم المصطلحات البلاغية ، أحمد مطلوب ، الجزء الثاني

[٢٠٥] نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، فخرالدين الرازي ، تحقيق د. بكري شيخ أمين ،دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ ، ص ١٤٤

[٢٠٦] سورة النمل ، الآية ٢٢

[٢٠٧] التعريفات ، أبو الحسن الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ ، صفحة ٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وروي واحد ، ويأتي الازدواج كذلك في قوله تعالى : " **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** " [٢٠٨] فالوزن والروي واحد ، وهذا من أشكال التوازي الصرفي .

الموازنة

من ظواهر التوازي ودلائله التي ترد في السور القصار، بشكل جلي ، ما يسمى بالموازنة ، وقد ذكرها ابن الأثير بقوله :" هي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن ، وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساويي الألفاظ وزناً " [٢٠٩]، وهي لدى بعض الدارسين ضرب من السجع ، يعرفها نجم الدين بن الأثير بقوله :" أن تأتي الجملة من الكلام أو البيت من الشعر متزن الكلمات متعادل اللفظات في السجع " [٢١٠] وذكرها الخطيب القزويني بأنها " تَساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية " [٢١١] فلا يعتد بالروي هنا بل بوزن الكلمة ، وعرفها مصطفى الجويني قائلاً : " أن يكون اللفظ من فواصل الكلام المنثور متساوياً ويأمن الوزن " [٢١٢] وفي الآية الثانية والثالثة من سورة الفلق ، تظهر الموازنة في قوله تعالى :"**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)** " ، فالكلمتان (خلق و وقب) متساويتان لفظا ومختلفتان قافية . والموازنة تعطي الكلام طلاوة ورونقا

---

[٢٠٨] سورة الانشراح ، آية ٥

[٢٠٩] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، مكتبة ومطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، الجزء الأول ، صفحة ٣٧٧

[٢١٠] جوهر الكنز ، نجم الدين بن الأثير الحلبي ، تحقيق د. محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، صفحة ٢٤٣

[٢١١] تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع الخطيب القزويني ، الطبعة الأولى ، مكتبة مصطفى البياتي الحلبي وأولاده ١٩٣٨، صفحة ٣٦٢

[٢١٢] مصطفى الجويني ، البديع لغة الموسيقى والزخرف ، صفحة ١٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فضلا عما فيها من عذوبة في السمع ، كما يذكر ابن الأثير " وللكلام بذلك طلاوة ورونق وسببه الاعتدال لأنه مطلوب في جميع الأشياء " [٢١٣] .

وتظهر أيضا في قوله تعالى : " **يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥)** " [٢١٤] فكلمتا المبثوث والمنفوش تساوتا في الوزن واختلفتا في القافية كذلك ، وتجيء في سورة التكاثر أيضا في قوله تعالى :" **كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦)** " [٢١٥] فلفظتا اليقين والجحيم متساويتان. وظهرت الموازنة ، في السور التي نزلت في المدينة ، كما يظهر في سورة البينة المدنية ، وإن طالت آياتها نسبيا ، مقارنة بالسور القصار المكية ، في قوله تعالى : " **وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥)** " [٢١٦] فالبينة والقيمة كلمتان متوازيتان مع اختلاف الروي . وفي قوله تعالى : " **وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)** " [٢١٧] توازت (العزيز والحكيم) في الآية واختلفتا في الروي ، وهذا من التوازي الصرفي.

---

[٢١٣] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير ، الجزء الأول ، صفحة ٣٧٨
[٢١٤] سورة القارعة ، آية ٤-٥
[٢١٥] سورة التكاثر ،٥-٦
[٢١٦] سورة البينة
[٢١٧] سورة الجمعة ، آية ٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التجزئة

والتجزئة بحسب قول ابن منقذ : " أن يكون البيت مجزّأً ثلاثة أجزاء أو أربعة " [٢١٨] كما قال المتنبي :

فنحن في جذل ، والروم في وجل والبحر في خجل ، والبر في شغل [٢١٩]

وفي تحرير التحبير ، يذكر الكاتب تعريفها بقوله : " وهو أن الشاعر يجزىءالبيت من الشعر جميعه أجزاءً عروضية ويسجعها كلها على رويين مختلفين جزءًا بجزء ، إلى آخر البيت ، فالأول من الجزأين على روي مخالف لروي البيت، والثاني على روي البيت " [٢٢٠] وذكره ابن القيم الجوزية في الفوائد باسم التجزيء وقال: " هو أن يكون الكلام مجزأً ثلاثة أجزاء أو أربعة " [٢٢١] ولهذ الفن الكثير من الشواهد في السور القصار ، وجاء في سورة الكوثر في قوله تعالى :

" **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)**" ، ويشعر القارىء بتجزيء السورة وكأنها تقرأُ أجزاءً ، ويرد في سورة العاديات كذلك ، قال تعالى : " **وَالْعادِياتِ ضَبْحاً (١) فَالْمُورِياتِ قَدْحاً (٢) فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً (٥)**" وهذه

---

[٢١٨] البديع في البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ ، تحقيق عبد آ علي مهنا ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ ، صفحة ١٠١

[٢١٩] أبو الطيب المتنبي ، ديوانه ، بشرح الواحدي ، الجزء الثاني ، دارالأرقم ، بيروت(د.ت) ، صفحة ٣٣٧

[٢٢٠] تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق د. حفني محمد شرف ، الجمهورية العربية المتحدة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، صفحة ٢٩٩

[٢٢١] الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، ابن قيم الجوزية ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٧ هـ ، صفحة ٢٣١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أربعة أجزاء تتوالى ، تكملها أجزاء ثلاثة أخرى هي قوله " **إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨)** " [٢٢٢] .

وتأتي التجزئة في سورة الانشراح أيضا ، في قوله عز من قائل : " **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)** " ، وتأتي أيضا في قوله تعالى : " **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ (٢)** "[٢٢٣] ، فيشعر القارىء بالتجزيء في يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة .

وتأتي كذلك في قول الله عز وجل : " **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١)** " [٢٢٤] فتجزيء الإيمان بالله والجهاد بالمال والنفس ، يفيد في الحفظ وإيضاح الفكرة وإيصال المعنى بسهولة .

ويظهر التجزيء أيضاً في قوله تعالى : " **يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ عَلى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)**" [٢٢٥] فتجزيء المبايعة يعين على التذكر والحفظ ، ولا يغفل ذو لبّ ما للتجزيء من دور في تسهيل الحفظ وتيسيره قدر الإمكان على طالب العلم القرآني ، وهذا بالتأكيد ما احتاجته حافظة الصحابة والمسلمين أول دعوة الإسلام وما تلاها من مراحلَ .

---

[٢٢٢] سورة العاديات
[٢٢٣] سورة الجمعة ، آية ٢
[٢٢٤] سورة الصف
[٢٢٥] سورة الممتحنة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ووردت التجزئة في سور أخرى كالفلق والناس والعصر ، ما يدل على كثرة استخدام هذا الأسلوب اللغوي الذي يعدّ من التوازي أول الإسلام والدعوة .

الترصيع

الترصيع من الظواهر التي وردت في آي الكتاب الكريم ، وفي السور القصار بخاصة، ويذكر قدامة بن جعفرالترصيع قائلاً : " فالترصيع أن تكون الألفاظ متساوية البناء متفقة الانتهاء ، سليمة من عيب الاشتباه وشين التعسف والاستكراه ،يتوخى في كل جزئين منها متواليين أن يكون لهما جزءان متقابلان يوافقانهما في الوزن ، ويتفقان في مقاطع السجع ، من غير استكراه ولا تعسف، كقول بعضهم : " حتى عاد تعريضك تصريحا ، وصار تمريضك تصحيحا " فهذا أحسن المنازل " [٢٢٦] ، وقال ابن سنان : " هو أن يعتمد تصيير مقاطع الأجزاء من البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المنثور مسجوعة وكأن ذلك شبّه بترصيع الجوهر في الحلي " [٢٢٧] ، ومما ظن من الترصيع في السور القصار ، قوله في سورة الضحى: " **وَالضُّحى (١) وَاللَّيْلِ إِذا سَجى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدى (٧) وَوَجَدَكَ عائِلاً فَأَغْنى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ**

[٢٢٦] جواهر الألفاظ ، قدامة بن جعفر البغدادي ، تحقيق محمد محي عبد الحميد،الطبعة الأولى ١٩٨٥ ، دار الكتب العلمية ببيروت ، صفحة ٣

[٢٢٧] سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ،القاهرة ١٩٥٣ ، صفحة ٢٢٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فَلا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) " [٢٢٨] فنهايات الآيات تنتهي بصوت الألف المقصورة، وتتساوى ضحى و سجى وقلى في الوزن وإن اختلفت الضمة على ضحى ، وتتساوى تنهر وتقهر في الوزن والسجع كذلك ، وبذلك يتحقق الترصيع بما هو اتفاق نهايات الآيات في الوزن فضلاً عن السجع . ويظهر الترصيع أيضاً في سورة الفلق في أول آيتين في قوله تعالى : " **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)** " فنهاية فلق وخلق واحدة في سجعة القاف ، وهما على وزن واحد ، كما يرد الترصيع في قوله تعالى في سورة الإخلاص: " **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢)** " ، وهنا يقع التوافق في أحد و صمد في الوزن والسجع ، وفي سورة العاديات يقع ذلك في خمس الآيات الأولى من السورة : " **وَالْعادِياتِ ضَبْحاً (١) فَالْمُورِياتِ قَدْحاً (٢) فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً (٥) إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠)** " ، فالكلمتان ضبحا و قدحا ، تساوتا في الوزن والسجع ، وتلتهما صبحا بتغير بسيط في حركة الضم على فائها ، ثم جاءت كلمتا نقعا وجمعا على اتفاق الوزن والسجع ، وظهر بعدهما لشهيد و لشديد ، في وزن واحد وسجع واحد بل مع اقترانهما باللام المزحلقة أيضا ، وتلتهما القبور والصدور متفقتين في الوزن والسجعة ، وفي هذه الأمثلة يظهر الترصيع عنصراً من عناصر الإيقاع في سور الكتاب العزيز القصيرة .

[٢٢٨] سورة الضحى ، آية ١-١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

التطريز

والتطريز كما يقول العسكري : " أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن فيكون فيها كالطراز في الثوب ، وهذا النوع قليل في الشعر " [٢٢٩] ، ويورد أمثلة له من الشعر كقوله في مرثية :

أصبحت أوجه القبور وضاء وغدت ظلمة القبور ضياء

يوم أضحى طريدة للمنـايا ففقدنا به الغنى والغنَاء

يوم ظل الثرى يضمّ الثريا فعدمنا منه السنا والسناء

يـوم فاتت به بوادر شـؤم فرزينا به الثرى والثراء

فالتطريز هنا في " يوم أضحى ويوم ظل ويوم فاتت " ويذكر مثالاً آخر من قول زياد الأعجم :

ومتى يؤامر نفسه مستلحيا في أن يجود لدى الرجاء يقل جُد

أو أن يعود له بنفحة نائلٍ يعد الكرامة والحياء يقل عدِ

أو في الزيادة بعد جزل عطية للمستزيد من العفاة يقل زدِ [٢٣٠]

وهنا جاء التطريز في آخر كلمتين في كل بيت ، لذا فالتطريز قد يأتي في أول الكلام أو آخره ، وابن القيم الجوزية يذكر أنواعاً له من القرآن ، ويعرفه بقوله : " هو أن تأتي قبل القافية بسجعات متتالية فيبقى في الأبيات أواخر الكلام كالطراز في الثوب " [٢٣١] ويذكر أنه وجده في القرآن وفي شعر

---

[٢٢٩] الصناعتين ، أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ، الطبعة الأولى ١٩٥٢ ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ،صفحة ٤٢٥

[٢٣٠] المرجع نفسه ، صفحة ٤٢٦

[٢٣١] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٦ ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٦٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المولدين ويقسمه إلى ثلاثة أقسام ، الأول : ماله علمان ، علم من أوله وعلم من آخره ، والثاني : ما له علم من أوله ، والثالث ما له علم من آخره ، وأورد له أمثلة من القرآن كلها من طوال السور. [٢٣٢]

وبالعودة إلى السور القصار يظهر التطريز واضحا ، كقوله تعالى : " **وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدى (٧) وَوَجَدَكَ عائِلاً فَأَغْنى (٨)** " [٢٣٣] والتطريز بيّنٌ في أول الآية في (ووجدك ضالا) و (ووجدك عائلا) ، ويأتي التطريز أيضا في قوله تعالى : " **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧)** " [٢٣٤] فالتطريز يتجلى في أول الآية في (إنّ الذين كفروا) ثم (إن الذين آمنوا) ، وفي آخرها في (أولئك هم شر البرية) و(أولئك هم خير البرية).

ولتحقيق تطريزات كثيرة لا بدّ من وجود فسحة أوسع ونفس أطول في الآيات، لذلك ظهر التطريز في السور المدنية أكثر من ظهوره في السور المكية . ومن التطريز ما جاء في قوله تعالى : " **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)** [٢٣٥] ، وهنا جاء التطريز في بداية الآيات ، (وضرب الله مثلا للذين كفروا) ثم (وضرب الله مثلا للذين آمنوا) ، وهذه السورة مدنية كما هي سورة البينة قبلها ، وفي السورة نفسها يأتي أيضا في الآيات : " **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ عَلَيْها**

---

[٢٣٢] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٧٠- ٢٧١
[٢٣٣] سورة الضحى
[٢٣٤] سورة البينة
[٢٣٥] سورة التحريم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنا وَاغْفِرْ لَنا إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) " [٢٣٦] ويظهرالتطريز جلياً في بداية الآيات .

ويأتي التطريز كذلك في سورة المنافقين المدنية أيضا ، في قوله تعالى : " **هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ (٨)** " [٢٣٧] والتطريز واضح في نهاية الآيتين ، عند ولكن المنافقين لا يفقهون ثم ما يليها ولكن المنافقين لا يفقهون .

ويجيء في سورة الصف ، وهي مدنية كذلك ، في قوله تعالى: " **يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)** " [٢٣٨] وأتى التطريز هنا في نهاية الآيات ، في قوله : ولو كره الكافرون ، ولو كره المشركون .

---

[٢٣٦] سورة التحريم
[٢٣٧] سورة المنافقون
[٢٣٨] سورة الصف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تشابه الأطراف

اختلف البلاغيون في تعريف هذا المصطلح ، فالقزويني اعتبره من مراعاة النظير، فقال : " ومن مراعاة النظير ما يسميه بعضهم " تشابه الأطراف "، وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى " [٢٣٩] ، مثل قوله تعالى : " **لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)** " [٢٤٠] فإن اللطيف يناسب ما لا يدرك بالبصر، والخبرة تناسب من يدرك شيئا فإن من يدرك شيئاً يكن خبيرا به .

وهذ النمط من التوازي يلمس في آيات تطول نسبيا ، لذا فقد غاب عن السور القصار المكية في الجزء الثلاثين ، وتركز في السور المدنية ، والمعروف عنها أنها تطول ، لذا ظهر في الجزء الثامن والعشرين في الآيات الآتية ، قال تعالى : " **لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** " [٢٤١] ، فالتولي والاستغناء عن دين الله لا يضره شيئاً ، فالله غني عن المشركين وعن البشر كلهم ، فانتهت الآية بما ناسب أولها ومضمونها ، وننتقل لمثال آخر في سورة مدنية أخرى موسومة بالقصر ، في قوله تعالى : " **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعى إِلَى الْإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧)** " [٢٤٢] وتتناسب بداية الآية من ظلم الكافر لنفسه وينهيها الله عز وجلّ بما يشبه بدايتها من نفي هدايته للمصرّ على الظلم .

---

[٢٣٩] الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، دار الكتب العلمية بيروت ، صفحة ٣٥٦ - ٣٥٧

[٢٤٠] الأنعام

[٢٤١] سورة الممتحنة ، آية ٦

[٢٤٢] سورة الصف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي السورة نفسها جاء في قوله تعالى : " **يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)** " [٢٤٣] ففيها يأتي التشابه، فالفوز العظيم هو الفوز بالجنة التي وصفت في الآية ، وتليها آية تتضمن المعنى نفسه في قوله تعالى : " **وَأُخْرى تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)** " [٢٤٤] فالبشارة في نهاية الآية ، والأمر بها كان بسبب الفوز بالجنة والنصر على العدو وفتح البلاد ، وهذا يوافق معنى الآية التي ورد في أولها .

وفي سورة الجمعة يأتي قوله تعالى : " **وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧)** " ، وانتهت الآية بعلمه بالظالمين ، وهو علمه بكل خطاياهم وأفعالهم السيئة التي قد يكون الكثير من الناس لم يطلع عليها ، فالله عليم بأفعالهم وظلمهم ، كما جاء في قوله في آخر السورة نفسها : " **وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)** " [٢٤٥] إذ ينتهي طرف الآية بتأكيد أفضلية رزق الله الأخرويّ على الرزق الدنيويّ الذي يسعى له الناس في الدنيا ، وقد يتركون صلاتهم للبيع والشراء واللهو سعيا وراء رزق فانٍ ، وهكذا تتشابه الأطراف هنا .

---

[٢٤٣] سورة الصف
[٢٤٤] سورة الصف
[٢٤٥] سورة الصف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاء في قوله تعالى : " **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً** " [٢٤٦] ، فتقسيم الرزق وتقدير الأقوات يقتضيان تقسيماً يعلمه الله ولا يعلمه أحد ، بقدر معلوم منه عزّ وجلّ ، وهذا ما انتهت به الآية من تقدير الله لكل شيء . وفي آية ثانية يقول الله تعالى : " **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً** " [٢٤٧] وهنا تنتهي الآية بأن الله سيجعل اليسر بعد العسر ، وهو يؤكد ما ورد في الآية منذ أولها في الإنفاق على قدْرالموجود وأن التوسعة ستأتي يوما للمعسر الذي لا يجد ، فالأيام تتغير والأحوال كذلك .

ونجد الظاهرة نفسها في سورة مدنية أخرى ، سورة التحريم ، في قوله تعالى : " **يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)** " فنهاية الآية بمغفرة الله ورحمته للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، تشابه وتوافق البداية في تحريم الرسول لجاريته مارية على نفسه وهي ما قد أحلّه الله له لإرضاء زوجاته ، فمغفرة الله تشمله ، وفي آية تليها ، قال تعالى :" **وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)** " [٢٤٨] فلماذا لم تنتهِ الآية بالقوي العزيز أو الغني الحميد ؟! لقد انتهت بما يوافق ويشابه بدايتها ومضمونها من حادثة إفشاء سرّ وكلام خفي بين الرسول وإحدى زوجاته، فعلم الله وخبرته توافق وتشابه الآية وحديث الإسرار فيها .

---

[٢٤٦] سورة الطلاق ، آية ٣
[٢٤٧] سورة الطلاق ، آية ٧
[٢٤٨] سورة التحريم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رد العجز على الصدر

هذا الفن من التوازي سمي عند المتأخرين بالتصدير ، يذكره الحموي قائلاً : " هذا النوع الذي هو ردّ الأعجاز على الصدور سماه المتأخرون التصدير ، والتصدير هو أخفّ على المستمع وأليق بالمقام " [٢٤٩] ، وسماه الحاتمي التصدير ، كذلك وعرفه قائلاً : " هو أن يبدأ الشاعر بكلمة في البيت في أوله أو في عجزه أو في النصف منه ثم يرددها في النصف الأخير فإذا نظم الشعر على هذه الصنعة تهيأ استخراج قوافيه وقبل أن يطرق أسماع مستمعيه ، وهو الشعر الجيد " [٢٥٠] ، وهذا التعريف أنسب للشعر ، لذا سيعتمد تعريفه للنثر ، يقول عنه المدني : " وهو في النثر : أن يجعل أحد اللفظين المكررين ، أعني المتفقين في اللفظ والمعنى أو المتجانسين ، وهما المتشابهان في اللفظ دون المعنى أو الملحقين بالمتجانسين وهما اللفظان اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبهه ، في أول الفقرة واللفظ الآخر في آخرها " [٢٥١] ووضح المدني أقسامه متبعاً ، " فيكون أربعة أقسام :

الأول : أن يكونا مكررين كقوله تعالى : " **وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ** " [٢٥٢]

والثاني : أن يكونا متجانسين نحو قولهم : " سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل "

والثالث أن يجمع اللفظين الاشتقاق نحو قوله تعالى : " **اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً** " [٢٥٣]

---

[٢٤٩] خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي ، القاهرة ١٣٠٤ هـ ص ١١٤

[٢٥٠] حلية المحاضرة في صناعة الشعر، أبو علي الحاتمي ، تحقيق د. جعفر الكتاني ، دار الرشيد للنشر ، العراق١٩٧٩ الجزء الأول ، صفحة ١٦٢

[٢٥١] أنوار الربيع في أنواع البديع ، ابن معصوم المدني ، تحقيق شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان النجف ، العراق ، الطبعة الأولى ، الجزء الثالث ،صفحة ٩٤

[٢٥٢] سورة الأحزاب ، آية ٣٧

[٢٥٣] سورة نوح ، آية ١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والرابع : أن يجمعهما شبه الاشتقاق، نحو قوله تعالى : " **قالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقالِينَ** " [٢٥٤] " [٢٥٥] ، إذن نستطيع القول إنّ رد العجز على الصدر هو تكرار الكلمة التي وردت في أول الآية ، بلفظها التام أو المشتق ، في آخر الآية ، وهذا النمط من التوازي يظهر على نحو قليل في السور القصار ، ومنه ما ورد في قوله تعالى : " **ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** " [٢٥٦] إذ جاءت كلمة الفضل في أواخر العجز مردودة على فضل في تضاعيف الصدر . وجاء أيضاً في قوله تعالى : " **يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** " [٢٥٧] إذ ردّت كلمة فبايعهنّ في أواخر العجز من الآية على يبايعنك في تضاعيف الصدر ، ويأتي أيضاً في قوله تعالى : " **وَإِذْ قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْراةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالْبَيِّناتِ قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ** " [٢٥٨] وهنا ردّت كلمة قالوا في أواخر العجز على قال في بداية الصدر . ومنه ما ورد في قوله تعالى : " **إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ** " [٢٥٩] ، فقد ردّت كلمة المنافقين في أواخر العجز على (المنافقون) في تضاعيف الصدر .

---

[٢٥٤] سورة الشعراء ، آية ١٦٨

[٢٥٥] أنوار الربيع في أنواع البديع ، ابن معصوم المدني ، تحقيق شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان النجف ، العراق، الطبعة الأولى ، الجزء الثالث ،صفحة ٩٤

[٢٥٦] سورة الجمعة ، آية ٤

[٢٥٧] سورة الممتحنة ، آية ١٢

[٢٥٨] سورة الصف ، آية ٦

[٢٥٩] سورة المنافقون ، آية ١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجاء هذا النمط من التوازي في مطلع سورة الزلزلة في قوله تعالى : " **إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها** " [٢٦٠] فردّت زلزالها في العجز على زلزلت في الصدر ، وجاء في قوله تعالى : " **لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ** " [٢٦١] فردّ الفعل تعبدون في العجز على أعبد في الصدر وإن قصُرَت الآية هنا كثيرا لا كمثل الآيات المدنية الأولى الذكر في أمثلة المبحث ، وفي السورة عينها يقول الله عزّ وجلّ : " **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** " [٢٦٢] فردّت كلمة دين في العجز على دينكم في صدر الآية .

وفي قوله تعالى : " **تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١)**" تبدو الظاهرة نفسها إذ ردّت تبّ في العجز على تبّت في الصدر ، ومنه ما جاء في قوله تعالى : " **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** " [٢٦٣] فقد ردّت كلمة يولد في العجز على يلد في الصدر ، وهذا النمط من التوازي ظهر في السور المكية أول البعثة ، وفي السور المدنية آخرها .

العكس والتبديل

في تعريف هذا النمط يقول العسكري : " العكس أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول ، وبعضهم يسميه التبديل ، ومنه ما جاء في قول الله عز وجلّ :

---

[٢٦٠] سورة الزلزلة ، آية ١
[٢٦١] سورة الكافرون ، آية ٢
[٢٦٢] سورة الكافرون ، آية ٦
[٢٦٣] سورة الإخلاص ، آية ٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" **يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيّتَ مِنَ الْحَيّ** "[٢٦٤] " [٢٦٥] وهذه الظاهرة ملموسة في العديد من قصار السور ، فهي تشد الانتباه وتغري بمتابعة التلاوة وتشيع موسيقى مُحبَّبة في النص ، يقول تعالى : " **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** " [٢٦٦] فمن لم يلد لا بدّ من أن يكون قد وُلِد ، ولكن التعبير هنا يعكس ويبدل وينفي الولادة عن الخالق ، وفي سورة أخرى تفرض هذه الظاهرة نغمتها على معظم السورة ، في أربع آيات متتالية من أصل ست ، يقول الله تعالى شأنه : " **لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنا عابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥)** " [٢٦٧] فيتكرر العكس في الآيات لتأكيد استحالة عبادة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأتباعه لغير الله عز وجلّ .

ونظراً لقصر الآيات في السور القصار ، تتجلى هذه الظاهرة في آيات قصار متتالية ، لا كطوال السور المدنية التي ترد فيها الظاهرة في الآية نفسها، يقول تعالى : " **فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ (٩)** " [٢٦٨] وهنا تُعكس الآيات لتتم المقارنة بين ثقيل الميزان المؤمن ، وخفيف الميزان العاصي . وفي سورة العاديات ، يقول تعالى : " **أَفَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠)** " ، والبعثرة هنا عكس التحصيل في الآية التي تليها وهو ما يمنح النص إيحاءً بصورة أهوال يوم القيامة .

---

[٢٦٤] سورة الروم ، آية ١٩
[٢٦٥] الصناعتين ، أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري ،صفحة ٣٧١
[٢٦٦] سورة الإخلاص ، آية ٣
[٢٦٧] سورة الكافرون
[٢٦٨] سورة القارعة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن تجليات هذه الظاهرة قوله تعالى : " **جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** " [٢٦٩] ، ففي قوله تعالى " **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** " يقع العكس ولهذه الآية تأثير بالغ على نفوس المؤمنين ، فهذا الشكل من التوازي يرتبط بعامل نفسي عند المؤمنين فالعلاقة طردية بين رضا الله ورضا العبد عن الله عزّ وجلّ ، فمن سخط على الله وقضائه استحق سخط الله ، ومن رضي عن الله وقضائه استحق رضى الله .

المماثلة

اعتبر بعض البلاغيين كالعسكري المماثلة من محسنات المعنى ، كالمجاز والكناية ، فعرفها بقوله : " أن يريد المتكلم العبارة عن معنى ، فيأتي بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر ، إلا أنه ينبىء إذا أورده عن المعنى الذي أراد، كقولهم : " فلان نقي الثوب " يريدون به أن لا عيب فيه " [٢٧٠] ولكن الباحث يؤثر الابتعاد عن هذا التعريف ، فالكنايات والاستعارات تحتاج لإعمال الفكر والعقل والتمعن الشديد في النص ، ويلاحظ قلة ورود الاستعارات والكنايات في السور القصار قياساً إلى ورودها في السور المدنية ، ويبدو تعريف المصري أكثر قبولا فقد عرفها بقوله : " هي أن تتماثل ألفاظ الكلام أو بعضها في الزنة دون التقفية " [٢٧١] ومثّل لها بقوله تعالى : " **وَما أَدْراكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْها حافِظٌ (٤)** " [٢٧٢] وهناك من قبل أن تكون الألفاظ على

---

[٢٦٩] سورة البينة ، آية ٨

[٢٧٠] الصناعتين ، أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري ،صفحة ٣٥٣

[٢٧١] تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري ، صفحة ٢٩٧

[٢٧٢] سورة الطارق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قافية واحدة ، كابن مالك الأندلسي الذي عرفّ المماثلة بقوله : " المماثلة أن يتعدد أو يوجد في البيت أو نحوه مماثلة في الوزن والتقفية أو في الوزن فقط بين كلمتين متلاقيتين أو متوازيتين " [٢٧٣] وذكر مثالا عليه قوله تعالى : " **وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً** " [٢٧٤] ، والواضح هنا أن الموازنة والمماثلة تتشابهان في البحث عن التوازي في السور القصار، فالفرق بينهما لا يعدو أن يكون في ظهور القافية أو عدمه ، وهذا ما ظهر للعلماء سابقا . فقد عدّ القزويني المماثلة من الموازنة فقال : " فإن كان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خصَّ باسم المماثلة " [٢٧٥] كقوله تعالى: " **وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨)** " [٢٧٦] ، وعند إنعام النظر في التعريفات السابقة يظهر أن المماثلة هي أن يتماثل في الكلام كلمتان متقابلتان في الوزن والقافية ، تفريقاً له عن الموازنة .

ومن أمثلة المماثلة في السور القصار ، قوله تعالى :" **وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً (٥)** " [٢٧٧] ، ففي هذه السورة تتساوى كلمات الآيات في الوزن والقافية في الآيات الثلاث الأولى ، ثم تتساوى وتتماثل في الآيتين الرابعة والخامسة ، وفي آيات أخرى في السورة نفسها ، تتماثل كلمتان متوازيتان في الوزن والقافية

---

[٢٧٣] المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك الأندلسي ، المطبعة الخيرية الطبعة الأولى ١٣٤١ هـ ، صفحة ٨٠

[٢٧٤] سورة الإسراء ، آية ٥٥

[٢٧٥] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني ، دار الكتب العلمية بيروت ، صفحة ٤٠٦

[٢٧٦] سورة الصافات

[٢٧٧] سورة العاديات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في" لشهيد ولشديد " ثم في " القبور والصدور ، قال تعالى : " **وَإِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠)** "[٢٧٨] ، وفي مثال آخر ، تأتي المماثلة في قوله تعالى : " **إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَما أَدْراكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)** "[٢٧٩] فهذه السورةٌ تتماثل فيها الكلمات الأخيرة في الوزن والقافية في قدر و شهر وأمر وفجر . وفي مثال آخر ، يقول عزّ من قائل : " **وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً وَعَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً (٨) فَذاقَتْ وَبالَ أَمْرِها وَكانَ عاقِبَةُ أَمْرِها خُسْراً (٩)**" [٢٨٠] ، ففي هذه السورة تتماثل كلمة نكراً وخسراً في نهاية الآيتين وزنا وقافية ، وهذه الظاهرة تحقق توازناً صوتيا يحلو وقعه في الأذن ويشدّ الانتباه للفكرة .

التفويف

يعرف القزويني التفويف بأنه : " أن يؤتى في الكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها " [٢٨١] ، ويعرفه ابن أبي الإصبع بأنه : " إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والوصف والنسيب " [٢٨٢] ويقرر أنّ " أغرب أقسام التفويف هو الذي تكون جمله متماثلة المقاطع لأن

---

[٢٧٨] سورة العاديات
[٢٧٩] سورة القدر
[٢٨٠] سورة الطلاق
[٢٨١] الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، صفحة ٣٥٨
[٢٨٢] البرهان في إعجاز القرآن أو بديع القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠١٠ ، صفحة ١٤٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقوع ذلك فيه نادر " [٢٨٣] وعلى هذا يكون التفويف هو الإتيان بمعان متناسبة في جمل متساوية المقادير ، ومن أمثلته في السور القصار ، قوله تعالى : " **وَالشَّمْسِ وَضُحاها (١) وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها (٢) وَالنَّهارِ إِذا جَلاَّها (٣) وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشاها (٤) وَالسَّماءِ وَما بَناها (٥) وَالْأَرْضِ وَما طَحاها (٦)**" [٢٨٤] ،ويُلاحظ في الآيات تساوي الجمل وتناسب معانيها وتلاؤمها ، من القسم بالشمس ثم القمر والنهار فالليل والسماء والأرض في عملية توازنية عجيبة ، وفي عدد كلمات متساوٍ ، فالآيات من الثانية إلى السادسة تتكون من كلمات ثلاث ، وهذا من عجيب التفويف كما يبدو . وفي قوله تعالى : " **وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً وَعَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً** " [٢٨٥] ويأتي التفويف في ، فحاسبناها حسابا شديدا و عذبناها عذابا نكرا ، فتكاد الجمل تتساوى أما المعاني فمتلائمة ومتفقة .

وفي قوله عزّ من قائل :" **وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدى (٧) وَوَجَدَكَ عائِلاً فَأَغْنى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (١٠)** " [٢٨٦] تأتي الآيات متساوية المقدار متناسبة المعاني ، وعدد كلماتها يتناسب ، فهي في الآيتين السابعة والثامنة ثلاث ، وفي التاسعة والعاشرة أربع ، ويظهر أن التفويف يساعد على التوازي التركيبي في الآيات .

---

[٢٨٣] البرهان في إعجاز القرآن أو بديع القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري ، صفحة ١٤٣
[٢٨٤] سورة الشمس
[٢٨٥] سورة الطلاق ، آية ٨
[٢٨٦] سورة الضحى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقابلة

في تعريف المقابلة يقول العسكري : " المقابلة إيراد الكلام ، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة " [٢٨٧] ويعرفها ابن شيث القرشي بقوله : " المقابلة هي أن يتساوى في الكلام المضبوط بالسجعتين ويكون الثاني ضد الأول مع التكافؤ في اللفظ " [٢٨٨] وعلى هذا فإن المقابلة تكون في جملة تأتي مقابلة لجملة ومخالفة إياها في المعنى ، وأمثلة ذلك كثيرة في السور القصار ، يقول تعالى :" **فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهادَةَ لِلَّهِ ذلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً** "[٢٨٩] فالمقابلة هنا تقع في فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ، وتظهرالمفارقة في مقابل الإمساك ، وترد مرة أخرى في السورة نفسها في قوله تعالى : " **وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً** " [٢٩٠] ، فالمقابلة الواردة هنا بين النساء اللواتي يحضن في قضية شرعية هي العدّة ، وبين النساء في سن اليأس ممّن لا يحضن ، وتأتي المقابلة مرة ثالثة في السورة في قوله :" **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفساً إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً** " [٢٩١] ، فذو السعة صاحب المال الوفير يقابل من قدر عليه الرزق وضُيِّق عليه .

---

[٢٨٧] الصناعتين ، أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري ،صفحة ٣٣٧
[٢٨٨] معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، ابن شيث القرشي ، المطبعة الأدبية بيروت ١٩١٣، صفحة ٨٢
[٢٨٩] سورة الطلاق ، آية ٢
[٢٩٠] سورة الطلاق ، آية ٤
[٢٩١] سورة الطلاق، آية ٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي سورة أخرى يقول الله تعالى : " **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها (٩) وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها (١٠)**" [٢٩٢] والفلاح يقابل الخيبة والخسارة ، والتزكية والتطهير تقابل الإنقاص والإخفاء بالفجور .

وفي سورة القارعة ، يقول الله تعالى :" **فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ (٩)** " ، وهنا تقع المقابلة بين المؤمن والكافر يوم القيامة وجزائهما المختلف المتقابل .

وفي سورة البينة ترد مقابلة في قوله تعالى : " **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها أُولئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧)** " والمقابلة هنا في كامل الآية بين الذين كفروا وهم شر الخلق وبين الذين آمنوا وهم أفضل الخلق ، وبتتبع السور القصار تظهر أمثلة أكثر ، يقول تعالى : " **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)** " [٢٩٣] والمقابلة هنا في الآيتين المتتاليتين بين نودي للصلاة وقضيت الصلاة ، وقد جاءت المقابلة هنا بهدف تعليم المجتمع سلوكات دينية عبر هذا التوازي .

وفي سورة الصف تأتي مقابلة في قوله تعالى : " **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ** " [٢٩٤] ، والمقابلة هنا بين إطفاء النور وإتمام النور ، وتأتي في سورة الممتحنة أيضا ، في قول الله عزّ وجلّ :" **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا**

---

[٢٩٢] سورة الشمس ، آية ٩ - ١٠
[٢٩٣] سورة الجمعة
[٢٩٤] سورة الصف ، آية ٨

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ وَسْئَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) " والمقابلة في قوله : لا هنّ حلّ لهم ولا هم يحلون لهن، وهي واضحة جلية .

أما سورة التحريم فتظهر فيها المقابلة في مواضعَ عدّةٍ ، يقول تعالى : **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّما تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧)"**

وفي هاتين الآيتين مقابلة بين الذين آمنوا و الذين كفروا ، كما ورد في غيرها من سور ، وتأتي المقابلة في آيتين أخريين ، في قوله تعالى : " **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كانَتا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنا صالِحَيْنِ فَخانَتاهُما فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُما مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)** "[٢٩٥] ، والمقابلة هنا في كل الآية بين زوجتي نبيين كفرتا ، وبين زوجة طاغية في الأرض لكنها آمنت بالله . والسور القصارحافلة بأمثلة أخرى من المقابلة .

الطباق

يذكر العسكري أن : " المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة ، مثل الجمع بين البياض والسواد ، والليل والنهار ، والحرّ والبرد " [٢٩٦] وعلى ذلك يُعدّ الطباق هو الجمع بين المتطابقين في الكلام ، وأمثلته موجودة في

[٢٩٥] سورة التحريم ، آية ١٠ -١١
[٢٩٦] الصناعتين ، أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري ، صفحة ٣٠٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السور القصار ، يقول عزّوجلّ : " **ذلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ** "[٢٩٧] وجاء الطباق في آمنوا و كفروا . وفي قوله تعالى : " **يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ** "[٢٩٨] ويظهر الطباق في الأعز والأذل ، ويظهر الطباق أيضاً في السورة في قوله تعالى : " **سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ** "[٢٩٩] فطباق السلب بين استغفرت ولم تستغفر ، وفي قوله تعالى: (**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً فَاتَّقُوا اللَّهَ يا أُولِي الْأَلْبابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً (١٠) رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آياتِ اللَّهِ مُبَيِّناتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً (١١)**)[٣٠٠] طباق يظهر في الظلمات والنور . وفي سورة الشمس يرد الطباق على نحو واضح في أربع آيات متتالية عبر قسم الله بالمتضادات ، في قوله تعالى : " **وَالشَّمْسِ وَضُحاها (١) وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها (٢) وَالنَّهارِ إِذا جَلَّاها (٣) وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشاها (٤) وَالسَّماءِ وَما بَناها (٥) وَالْأَرْضِ وَما طَحاها (٦)** " فالنهار ضد الليل والسماء ضد الأرض .

وفي سورة الزلزلة ، يرد الطباق في قوله تعالى : " **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)** والخير والشر متطابقان لا محالة .

أما سورة الكافرون فمعانيها مبنية على الطباق ، وكأن التوازي عبر تقنية الطباق في السورة قسم المجتمع على فريقين أو فيلقين من كفار ومؤمنين ، يقول تعالى:" **لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنا عابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)** " [٣٠١] فمن خلال الطباق انقسم المجتمع بين مؤمن وكافر ينتمي ذاك إلى دين وينتمي هذا إلى آخر. ويظهر أيضاً طباق السلب في كل الآيات . وفي سورة الجمعة يقول تعالى : " **مَثَلُ الَّذِينَ**

---

[٢٩٧] سورة المنافقون ، آية ٣
[٢٩٨] سورة المنافقون ، آية ٨
[٢٩٩] سورة المنافقون ، آية ٦
[٣٠٠] سورة الطلاق ، آية ١١
[٣٠١] سورة الكافرون

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حُمِّلُوا التَّوْراةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " [٣٠٢] فالطباق تحقق هنا بين حمّلوا ولم يحملوا . ويقول تعالى : " **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللَّهِ كَما قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ وَكَفَرَتْ طائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ** "[٣٠٣] وجاء هنا الطباق بين آمنت وكفرت .

وفي سورة الممتحنة ، يرد قوله تعالى : " **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغاءَ مَرْضاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِما أَخْفَيْتُمْ وَما أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ** "[٣٠٤] والطباق فيه في (أخفيتم وأعلنتم) ، وفي السورة نفسها يقع الطباق في آيتين متتاليتين ، في قوله تعالى : " **لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّما يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَظاهَرُوا عَلى إِخْراجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)**" [٣٠٥] ويبدو الطباق هنا في لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم في الآية الأولى ثم في قاتلوكم وأخرجوكم في التي تليها .

المناسبة

وفي تعريف المناسبة يقول السيوطي : " المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما ، عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من

---

[٣٠٢] سورة الجمعة ، آية ٥
[٣٠٣] سورة الصف ، آية ١٤
[٣٠٤] سورة الممتحنة ، آية ١
[٣٠٥] سورة الممتحنة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أنواع علاقات التلازم الذهني ، كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه ، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حالته حالة البناء المحكم المتلائم الأجزاء " [٣٠٦] ويكثر ظهور المناسبة في القرآن الكريم ، بحيث يمكن أن يقال إنّ القرآن كله متناسب معنويا ، بناءً على هذا التعريف ، وتقسّم المناسبة بحسب البلاغيين إلى نوعين، لفظية ومعنوية ، " فالمعنوية أن يبتدىء المتكلم بمعنى ثم يتمّم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ " [٣٠٧] ، أمّا اللفظية فتعني : " توخّي الإتيان بكلمات متّزنات ، وهي على ضربين: تامة وغير تامة،فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفّاة وأخرى ليست بمقفّاة،فالتقفية غير لازمة للمناسبة" [٣٠٨] وذكر المصري مثالاً للفظية التامة ، قول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، : " ارجعن مأزورات غير مأجورات " والمستعمل موزورات من الوزر غير مهموز، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم همزه لمناسبة اللفظة مأجورات ، ومن أمثلة المناسبة اللفظية غير التامة ، قوله عليه الصلاة والسلام: " إنّ أحبكم إليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطَّئون أكنافاً " فناسب، صلى الله عليه وسلم ، بين أخلاق وأكناف مناسبة اتزان دون تقفية [٣٠٩].

والسور القصار حافلة بتعابير تجلّيها المناسبة ، من ذلك قوله تعالى : " **وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** " [٣١٠] فإن اسم الله الغفور يناسب طلب المغفرة الواردة في الآية ، وهو من

---

[٣٠٦] معترك الأقران في إعجاز القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، الجزء الأول ، دار الفكر العربي ،صفحة ٥٧

[٣٠٧] تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري ، صفحة ٣٦٣

[٣٠٨] المرجع نفسه ، صفحة ٣٦٧

[٣٠٩] انظر المرجع نفسه ، صفحة ٣٦٨

[٣١٠] سورة الممتحنة ، آية ١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المناسبة المعنوية ، وفي السورة نفسها يقول عزّ وجلّ :" **لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** "[٣١١] وانتهت الآية بتأكيد محبة الله للمقسطين الذين يعدلون مع البشر ويقسطون في التعامل معهم بعدالة ، ويبدو أنّ المناسبة المعنوية تتوافق في المعنى مع تشابه الأطراف ، لذا فليس بالدراسة من حاجة إلى الإكثار من الأمثلة عليها ،علماً أن هذه الظاهرة تحتاج إلى فسحة مكانية في الآية ولطول نفس ، لذا فهي تكثر في السور القصيرة المدنية التي طالت نسبياً مقارنة بالسور المكية الأوَل .

ومن أمثلة المناسبة اللفظية في السور القصار ، قوله تعالى : " **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ** "[٣١٢] ، وجاءت هنا المناسبة اللفظية بين أموالكم وأولادكم ، فلم يأت في الآية مثلاً : نقودكم أو عشيرتكم ، وهاتان الكلمتان اتفقتا وزناً وتقفية في مناسبة تامة . وفي قوله تعالى :" **وَالسَّماءِ وَما بَناها (٥) وَالْأَرْضِ وَما طَحاها**"[٣١٣] ، تتفق الكلمتان وما بناها وما طحاها وزنا وتقفية ، فالتعبير يمثل مناسبة لفظية تامة ، وفي قوله تعالى: " **كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)**" [٣١٤] مناسبة لفظية غير تامة ، إذ تتفق الكلمات يقين وجحيم ونعيم في الوزن ، وهذا ما يعرف بالمناسبة اللفظية غير التامة ، وفي قوله تعالى : " **أَفَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ مَا فِي**

---

[٣١١] سورة الممتحنة ، آية ٨
[٣١٢] سورة المنافقون ، آية ٩
[٣١٣] سورة الشمس ، آية ٥ -٦
[٣١٤] سورة التكاثر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الْقُبُورِ(٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) "[٣١٥]، تتفق كلمتا (القبور والصدور) وزنا وتقفية في مناسبة تامة ، وفي قوله تعالى : " **فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)**" [٣١٦] مناسبة تامة ، إذ تتفق الكلمتان فانصب و فارغب زنةً وتقفية. وترد المناسبة كذلك في سورة الضحى ، في قول الله عزّ وجلّ: " **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (١٠)**" [٣١٧] إذ وردت في (فلا تقهر و فلا تنهر) في اتفاق الوزن والقافية ، وهذه الأمثلة التي أوردها البحث تعاطت مع الوزن الصرفي فقط وليس العروضي وإلاّ لحفل البحث بالكثير من الأمثلة ، مما يكشف مدى ظهور شكل التوازي الصرفي في السور القصار.

التلاؤم

يقول الرماني معرفا التلاؤم : " التلاؤم نقيض التنافر ، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف ، والتأليف على ثلاثة أوجه : متنافر ومتلائم في الطبقة الوسطى ومتلائم في الطبقة العليا " ، ويذكر الرماني :" والفائدة في التلاؤم حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليه من حسن الصورة وطريق الدلالة " وعدّ المتلائم في الطبقة العليا هو القرآن كلّه " [٣١٨] فلا يوجد في القرآن ما هو غير متلائم في النظم أو الترتيب أو البلاغة ، فالإعجاز سمته والبيان شعاره والفصاحة داره.

ولا يجد الباحث ما يفرق بين قصار السور وطوالها في اعتماد هذا الشكل من التوازي .

---

[٣١٥] سورة العاديات
[٣١٦] سورة الانشراح
[٣١٧] سورة الضحى
[٣١٨] النكت في إعجاز القرآن ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، علي بن عيسى الرماني ، تحقيق محمد خلف الله و د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٨ ، صفحة ٩٤ - ٩٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجناس

يعتبر الجناس من أشكال البديع التي تساعد في صنع التوازي وبخاصة الصوتي منه ، والباحث في هذا الشكل يجد ما يزيد على ستين نوعا من الجناس أو كما سمّي بالتجنيس عند القدماء [٣١٩]، وهذا الشكل البديعي يظهر في السور القصار ، وليسهل النظر فيه سيعوّل البحث على شكلين عامين للجناس ، وهما ما يعرف بالجناس التام والجناس غير التام ، **والجناس** بعامة هو أن يتشابه لفظان في النطق ، ويختلفا في المعنى ، وهو نوعان :

أ) **تام** وهو ما تشابه فيه اللفظان في أربعة أمور هي : شكل الحروف ونوعها وترتيبها وعددها .

ب) **غير تام** وهو ما اختلف فيه اللفظان في شكل الحروف أو نوعها أو عددها أو ترتيبها . ومن أمثلة ذلك ، قوله تعالى : " **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (٤)** " [٣٢٠] ، وفي هذه السورة جناس تام بين لفظتي أحد في الآية الأولى والتي تعني هنا الواحد ، وأحد في نهاية السورة والتي تعني الشخص أو النفر . وفي قوله تعالى : " **وَالْعادِياتِ ضَبْحاً (١) فَالْمُورِياتِ قَدْحاً (٢) فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً (٣)** "[٣٢١] يظهر الجناس في كلمتي ضبحاً و صبحاً ، في اختلاف حرف واحد في جناس غير تام يكسب النص موسيقى جميلة .

---

[٣١٩] انظر ، معجم المصطلحات البلاغية ، د.أحمد مطلوب ، الجزء الثاني

[٣٢٠] سورة الإخلاص

[٣٢١] سورة العاديات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي قوله تعالى : " **وَإِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨)** " [٣٢٢] يظهر الجناس في الكلمتين (شهيد) و (شديد) والفرق بينهما حرف واحد ، وفي قوله تعالى : " **وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ** " [٣٢٣] ، يرد الجناس في كلمتي (همزة) و (لمزة) باختلاف حرف واحد بينهما ، وظهور هذه الظواهر في النص القرآني يساعد ، ولا شكّ، في تجليّ ظاهرة التوازي وتقابل هذه الكلمات وأثرها في السمع .

ومن أمثلته في سورة الضحى : " **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (١٠)** " والجناس بيِّن في تقهر وتنهر مع اختلاف القاف والنون فيهما .

وفي قوله تعالى : " **إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ** " [٣٢٤] يرد الجناس في (ربّهم) و (بهم) .

والجناس لون من ألوان التوازي الظاهرة في السور القصار ، وله أثر موسيقي قوى في السامع ، وهو ينبع من تكرار الحروف و ترديدها ، و تقابل الألفاظ المتشابهة ، والجناس ينشط الذهن و يحدث المتعة ، و يسهم إسهاما كبيرا في إيضاح المعاني و زيادة الإفادة ، وقد جاء الجناس في القرآن الكريم عفو الخاطر ، دون صنعة أو تكلف ، وهو ما لاحظه العرب وكان مدعاة إعجابهم .

وعبر التكرار الذي يظهر في الآيات ، يتّضح لنا شكل من التوازي الصرفي في بنية الكلمات التي عدّها " رومان ياكبسون " : أساساً في نظرية التوازي قائلاً : " هناك نسق من التناسبات المستمرة على مستويات عدة : في مستوى تنظيم وترتيب البنى التركيبية وفي مستوى تنظيم وترتيب الأشكال والمقولات النحوية وفي مستوى تنظيم وترتيب الترادفات المعجمية وتطابقات المعجم التامة .

---

[٣٢٢] سورة العاديات
[٣٢٣] سورة الهمزة ، آية ١
[٣٢٤] سورة العاديات ، آية ١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الأخير ، في مستوى تنظيم وترتيب تأليفات الأصوات والهياكل التطريزية . وهذا النسق يكسب الأبيات المترابطة بواسطة التوازي انسجاماً واضحاً وتنوعاً كبيراً في الآن نفسه . إن القالب الكامل يكشف بوضوح تنوعات الأشكال والدلالات الصوتية والنحوية والمعجمية " [٣٢٥] وبالطبع فإن ياكبسون يتحدث هنا عن الشعر ، ولكن المدقق في النص القرآني يجد جميع هذه الأشكال ، التي تحدث عنها ياكبسون ، موجودة في القرآن الكريم ، وما الترادفات المعجمية التي ذكرها إلا تكرار لبِنىً لفظيةٍ ذات صفات متشابهة ، كتكرار الكلمة أو المشتق كالصفة المشبهة أو اسم المفعول مثلاً .

وفي سورة الكافرون ، قال تعالى : " **قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنا عابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)** " ويلحظ في الآيات كثير من ملامح التوازي ، فيظهر اسم الفاعل في جميع أنحاء السورة ، مثل: (كافرون ، عابدون ، عابد) وتتكرر صيغة اسم الفاعل بوضوح فيها ، والفعل المستخدم يلتقي في الجذر الواحد مع اسم الفاعل (أعبد ، عبدتم، عابد) ، وكل الآيات ترتبط ضمنيا بالآية الأولى ، فهي مقول القول ، أمر من الله بالتبليغ ، إلى الرسول عن ربه للكافرين ، وهذا الشكل يرى فيه الباحث توازيا صرفياً في تكرار الصيغ الصرفية لاسم الفاعل بوضوح في السورة .

أما سورة الضحى ، ففيها كثير من التوازي التركيبي والصرفي ، يقول الله عزّ وجلّ :

" **وَالضُّحى (١) وَاللَّيْلِ إِذا سَجى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولى (٤)**

[٣٢٥] قضايا الشعرية ، ياكبسون ، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، صفحة ١٠٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدى (٧) وَوَجَدَكَ عائِلاً فَأَغْنى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) "[٣٢٦] يضفي تكرار اسم الفاعل نغمة على النص القرآني هنا ، في (ضالاً وعائلاً والسائل و الآخرة) وتتكرر الصفة المشبهة (يتيم) مرتين ، وهذا التوازي الصرفي واضح ، ثم يأتي نوع من التوازي على مستوى التراكيب ، فيتكرر أسلوب القسم في الآيتين الأولى والثانية ثم يأتي النفي في الآية الثالثة ، ثم يأتي أسلوب القسم في الآية الرابعة والخامسة في تقابل جميل ، ثم تتكرر وجدك في (ألم يجدك) ومعناها وجدك ثم (ووجدك) و (ووجدك) في ثلاث آيات متتالية في توازٍ تركيبي جميل ، ثم تختم نهاية الآيات بآيتين متوازيتين في أسلوب شرط وتفصيل بأمّا الشرطية .

أما سورة القارعة ، فيتكرر اسم الفاعل فيها بشكل واضح ، في أسماء الفاعلين القارعة وراضية وهاوية وحامية ، ثم يليه اسم المفعول (المبثوث والمنفوش) وجاء الاستفهام الوارد على وزن اسم الفاعل (ماهيه) ليشكل نسقاً صوتيا مُحبَّباً ، وهذا من التوازي الصرفي الجميل في الآيات، يقول تعالى :

" **الْقارِعَةُ (١) مَا الْقارِعَةُ (٢) وَما أَدْراكَ مَا الْقارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ (٩) وَما أَدْراكَ ما هِيَهْ (١٠) نارٌ حامِيَةٌ (١١)** " [٣٢٧] .

وفي سورة الشمس يتجلى التوازي على نحو خلاّب للألباب ، يقول تعالى : " **وَالشَّمْسِ وَضُحاها (١) وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها (٢) وَالنَّهارِ إِذا جَلاَّها (٣) وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشاها (٤) وَالسَّماءِ وَما بَناها**

---

[٣٢٦] سورة الضحى
[٣٢٧] سورة القارعة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(٥) وَالْأَرْضِ وَما طَحاها (٦) وَنَفْسٍ وَما سَوّاها (٧) فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها (٩) وَقَدْ خابَ مَنْ دَسّاها (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْواها (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقاها (١٢) فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ناقَةَ اللَّهِ وَسُقْياها (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّاها (١٤) وَلا يَخافُ عُقْباها (١٥) " [٣٢٨] ، هذا التوازي التركيبي يتحقق عبر تقسيم الآيات على مجموعات تركيبية، فالآيات السبع الأولى تأتي جميعها بصيغة أسلوب القسم ، وعبر اتفاق الأصوات في نهايات كلمات النص ، واتفاق الجمل في الكم اللفظي والتركيبي ، يحضر العنصر الموسيقي بشكلٍ طاغٍ يزيد المتلقي تأثراً ورهبة ورغبة في معاودة التلاوة .

وتربط المجموعة الثانية بالأولى آية تنقل الحديث من المجموعة الأولى للثانية ، بسلاسة ويسر ، ويتم ذلك في الآية الثامنة (فألهمها فجورها وتقواها) التي يعود الضمير فيها على النفس في الآية التي قبلها ، من غير أن يشعر القارىء بانفصال أو تباعد عن الموضوع . ثم تأتي قد والفعل الماضي والاسم الموصول فالفعل الماضي فالضمير الهاء تباعاً. وفي الآيات الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة تلتقي النهايات بكونها أسماءً لا أفعالاً كما حدث في البداية ،فانتهت بالأسماء (بطغواها وأشقاها وسقياها) وانتهت الآيات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة بأفعال هي على التوالي (تلاها وجلاها ويغشاها وبناها وطحاها وسواها) وكل أشكال التوازي التركيبية هذه توظف بطريقة لها دلالة دينية عظيمة في فصل الناس لفيلقين ، مؤمنين وكافرين ، فهناك من أفلح وهناك من خاب .

[٣٢٨] سورة الشمس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشبه التوازي في سورة العاديات ما ظهر منه في سورة الشمس بجلاء ، يقول تعالى : " **وَالْعادِياتِ ضَبْحاً (١) فَالْمُورِياتِ قَدْحاً (٢) فَالْمُغِيراتِ صُبْحاً (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً (٥) إِنَّ الْإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١)** " [٣٢٩] ، تبدأ الآيات الثلاث الأولى بأسلوب القسم وتنتهي بالاسم المنصوب ، ثم تأتي الآيتان الرابعة والخامسة بتركيب(الفاء والفعل الماضي المتصل بنون النسوة والجار والمجرور والمفعول به)، ثم تأتي الجملة الاسمية المكونة من إنّ التوكيدية واسمها والجار والمجرور واللام المزحلقة وخبر إن في الآيات السادسة والسابعة والثامنة ، وأما الآيتان التاسعة والعاشرة فيتوازى فيهما الفعل المبني للمجهول والاسم الموصول والجار والمجرور بعده في تشكيل عجيب في صورته وصيغته ، ثمّ تنتهي الآيات بالجملة الاسمية المكونة من إنّ التوكيدية واسمها والجار والمجرور واللام المزحلقة وخبر إن.

وهكذا رصد البحث العديد من أشكال التوازي التي تميزت بها قصار السور والتي كان لها دور في التشكيل الجمالي الأخاذ في السور القصيرة ، فضلا عما حققه من خدمة للغاية والزمن اللذين نزلت فيهما السور القصار ، ومكنت المسلمين من نشر الدعوة ونقلها للناس بسلاسة ويسر ، عبر كتاب عظيم معجز نزل بأسلوب لا يدانى ولا يجارى تحدى العرب في صنعتهم ، فما كان منهم إلاّ أن أقرّوا بإعجازه وأذعنوا لروعة بيانه وسحر أسلوبه .

[٣٢٩] سورة العاديات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة والنتائج

تحيّر الفكر العربي والإسلامي في كتاب الله العزيز وبلاغته الفائقة التي لم يصل إليها أحد من البشر ولن يصل، مهما بلغ من العلم ، وارتقى في مدارج اللغة والفصاحة، فتحدّى الله العزيز الكفار بقوله : **(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**[٣٣٠] فلم يستطيعوا ذلك لا هم ولا أعوانهم ، فخفض الله لهم سقف التحدي بقوله : **(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)** [٣٣١] فعجزوا هم وأعوانهم عن السورة الواحدة ، فخرسوا أمام فصاحة القرآن ، وبهروا بروعة نظمه ، وجلال معانيه، ووقع كلماته على القلوب ، وهذا ما دعا ويدعو العلماء للنظر في أسرار كتاب الله العظيم ، وتميز لغته وأسلوبه عن أساليب البشر ، فكان السحر فيه بائنا والبيان فيه كائنا.

ولن يستطيع بشر أن يلمّ بكل أسرار إعجاز القرآن في أي ناحية كانت من البلاغة والبيان واللغة والعلم ، ولكنها تبقى محاولاتٍ للتبصر في كتاب الله ومعانيه ، تفيد المتعطش للعلم والمفتش عن أسرار البيان في فهم بعض جوانب بلاغته ، ورحم الله السيوطي الذي قال : " وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه ، وأسراره في كتابه ، فلذلك حارت العقول ، وتاهت البصائر عنده " [٣٣٢] .

وفي هذا البحث ، حاول الباحث أن يجلو صورة توضح للناظر فيها كيف تميزت السور القصار من غيرها من السور الطوال ، وكيف أن للسور القصار خصائصَ تختلف عن السور الطوال، وتناول البحث السور القصار بدراسة العلاقة بينها وبين المكان الذي نزلت فيه ، والزمان والبيئة اللذين خاطبت أهليهما ، وأثر الأوضاع الاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية في السور بعامة والقصار بخاصة.

---

[٣٣٠] سورة هود ، آية ١٣
[٣٣١] سورة البقرة ، آية ٢٣
[٣٣٢] انظر الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، جزء ٢ ، صفحة ١٢٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبعد النظر في السور القصار وما الذي جعلها تأتي بهذا الحجم والشكل المختصر نوعا ما، عرض البحث للتصوير الفني في هذه السور ، وتنقل بين مفهوم الصورة وأنواعها ، محددا ما جاء منها في القصار مقارنا إياه بما أتى منه من صور في سياقات أخرى ، لا تماثل الصور في السور القصار ، وعرض بالدراسة للتشبيهات وأنواعها وما جاء في السور القصار من تشبيهات محددا نوعها .

وفي محاولة من الباحث للتعرف على سر من أسرار هذه السور القصار ، عثر على ظاهرة فريدة توظّف في النص القرآني بأشكال متعددة جميلة ، هي ظاهرة التوازي ، التي يحسبها الكثير من الدارسين ظاهرة تحمل مصطلحا غربيا لا أصل له في اللغة العربية ، وهذه الظاهرة موجودة تحت أسماء أخرى ذكرتها البلاغة العربية، ولها الكثير من الأشكال ، فدرسها البحث ، وبيّن أشكالها القديمة الموجودة في إرثنا الأدبي ، وفي كتاب الله العظيم وبخاصة في السور القصار، وذكر البحث العديد من الأمثلة عليها .

وقد تمخض البحث عن النتائج الآتية :

• للسور القصار تميز واضح عن السور الطوال في خصائصها ومميزاتها المختلفة .

• يزداد الجرس الموسيقي في السور القصار وضوحا عن السور الطوال .

• هناك ارتباط وثيق بين السورة والبيئة التي نزلت فيها .

• جاء القرآن مراعاة لحال المسلمين الأوائل فكانت السور قصاراً لتسهيل الحفظ والتبليغ وسرعته وملاءمة للتخفي والتستر من الأعداء .

• تختلف مواضيع السور القصار ومضامينها عن مواضيع السور الطوال ومضامينها.

• يتضاعف حجم كلمات آيات السورة المدنية وعددها مقارنة بالسورة المكية ، أضعافاً مضاعفة جراء طول الآيات وإن تساوتا في عدد الآيات .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• تأتي الصور الفنية في السور القصار بشكل بسيط غير معقد ، يسهل فهمه والنظر فيه، مثل الصورة المفردة .

• شاعت ظاهرة التوازي في السور القصار بشكل واضح عبر صيغ وأساليب بلاغية كثيرة ، أغنت النص القرآني جمالاً بما أضفته عليه من نغم موسيقي مما يسهل حفظ السور القصار ، ولله الحمد من قبل ومن بعد .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الملخص باللغة العربية

يتألف هذا البحث من مقدمة وثلاثة فصول .

أما المقدمة فقد بيّن فيها الباحث سبب اختياره لموضوع الدراسة ، وهو إحساس الباحث بتميز السور القصار بخصائصها وموضوعاتها عن السور الطوال ، ووضّح الأهداف التي يحاول إثباتها ، وبيّن وضع الدراسات السابقة والأكاديمية في الموضوع ومدى استفادته منها ، وبعض المعوقات التي عرضت له أثناء البحث والدراسة .

وفي الفصل الأول تناول الباحث السور القصار بالدراسة ، محدّدا إياها ، وموضحا مواضيعها وخصائصها وارتباطها بالبيئة والأحوال التي وجدت فيها .

وفي الفصل الثاني درس الباحث التصوير الفني في السور القصار ، وعرض لأنواع الصور الفنية المستخدمة في تلك السور ، ثم الصور التي وردت فيها أكثر من سواها.

أما الفصل الثالث فأفرده الباحث للنظر في ظواهر فنية وأسلوبية شكلت ظاهرة التوازي في السور القصار ، وعرض لمفهوم التوازي بشكله الحديث وما الذي جاء منه في السور القصار ، والأشكال البلاغية المعروفة من التوازي عند العرب قديما وظهورها في السور القصار .

وقد خلص البحث إلى نتائج ذكرت تفصيلاً في الخاتمة وعلى الرغم من ذلك ، فلا بأس من التنويه لبعضها

• هناك ارتباط وثيق بين السورة والبيئة التي نزلت فيها .

• جاء القرآن مراعاة لحال المسلمين الأوائل فكانت السور قصاراً لتسهيل الحفظ والتبليغ وسرعته .

• تأتي الصور الفنية في السور القصار بشكل بسيط غير معقد ، يسهل فهمه والنظر فيه، مثل الصورة المفردة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهذه النتائج التي نراها ليست بسيطة أو يسيرة التأثير على البحث في القرآن الكريم ، الذي لا يستطيع الباحثون إلى الآن كشف أسراره كلّها ، فالأمر عظيم والكتاب أعظم من أن يجاريه بشر أو أن ينافسه منافس ، والله أسأل التوفيق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract:

This study consists of an introduction and three chapters.
The researcher started with the reason of choosing his subject of study, which is the Uniqueness of the short chapters with its subject matter and characteristics away from long chapters. Furthermore, he clarified the aims trying to prove. Add to that he explained the situation of previous studies and the academic side in the subject and the level of getting advantage of it , with some of the obstacles he faced during study and research.

In chapter I , he studied short chapters specifying, clarifying its subject matter, characteristics and their association with the environment and circumstances with them .

In chapter II , the researcher studied the artistic photography in short chapters and mentioned kinds of artistic images used in those chapters with the images that were mentioned more than others.

In chapter III , he specified it for looking at artistic phenomena and stylistic ones which formed the parallelism in short chapters. Add to that he discussed the definition of parallelism in its modern form and what was mentioned in short chapters, with the rhetoric known forms of parallelism among Arabs in the past and their appearance in short chapters.
Finally, he summarized his research into results which were mentioned in detail in the Conclusion. In spite of that, no harm in mentioning some of them:
- There is a great association between chapters and the environment that came in it.
- Holy Quran came Suitable to the situation of the first Muslims, so verses were short to make memorizing and Informing easier.
- Artistic images in short chapters came simple and not in a complicated form; to make understanding easier, such as single images.
These results are not simple or with no effect on research in Holy Quran, which researchers can not discover all its secrets until now.
This holy quran is greater than for any one or anything to compete

…. May god be with us.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جريدة المصادر والمراجع *

القرآن الكريم

١ – إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٢

٢– إبراهيم أنيس وآخرون ،المعجم الوسيط ، دار الأمواج ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٩٨٧

٣ – إبراهيم محمود علان ،البديع في القرآن أنواعه ووظائفه ، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ، الطبعة الأولى٢٠٠٢

٤ – أحمد بن فارس القزويني الرازي ، مجمل اللغة لابن فارس ، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الجزء الأول ،الطبعة الثانية ،١٩٨٦ م

٥ – أحمد بن محمد القسطلاني ، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، تحقيق صالح الشامي،الجزء الثاني ،المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩١.

٦ – أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ، تاريخ اليعقوبي ، المجلد الأول ،دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت، ١٩٦٠ م .

٧ – أحمد أمين ، فجر الإسلام ، مطبعة الاعتماد ١٩٣٨.

٨ – أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثامنة ١٩٧٣

٩ – أحمد مطلوب ،معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، الجزء الثاني ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٨٦

---

* **أهمل لفظ ابن وأبو من الترتيب الهجائي للمصادر**

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١٠ – أحمد شوقي ، الشوقيات ، الجزء الأول ، تحقيق د. إميل أ. كبا، دار الجيل، بيروت ١٩٩٥

١١ – أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥.

١٢ – إسماعيل أبوالفداء بن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ، الجزء الرابع ، دار الجيل، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٠.

١٣ – أسامة بن منقذ ، البديع في البديع في نقد الشعر ، تحقيق عبد آ علي مهنا ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٧.

١٤ – ابن أبي الإصبع المصري ، البرهان في إعجاز القرآن أو بديع القرآن ، تحقيق د. أحمد مطلوب و د. خديجة الحديثي ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠١٠

١٥ – ابن أبي الإصبع المصري ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، تحقيق د. حفني محمد شرف ، الجمهورية العربية المتحدة ، لجنة إحياء التراث الإسلامي (د.ت).

١٦ – بدر الدين بن مالك الأندلسي ،المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، المطبعة الخيرية الطبعة الأولى ١٣٤١ هـ .

١٧ – بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، المجلد الثاني ،دار الفكر ، بيروت ، طبعة ١٩٨٨.

١٨ – بشار بن برد ، ديوانه ، الجزء الأول ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، طبعة ١٩٥٠

١٩ – بشرى موسى صالح ، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، المركز الثقافي العربي ، طبعة ١٩٩٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٠ – الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تحقيق الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الجزء الخامس ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ

٢١ – جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، دار التنوير ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٣.

٢٢ – جلال الدين السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، تحقيق علي محمد البجاوي ، الجزء الأول ، دار الفكر العربي (د.ت).

٢٣ – جلال الدين السيوطي ، م ٩١١ هـ . ، ترتيب سور القرآن ، الطبعة الأخيرة ، دار ومكتبة الهلال ، لبنان ،٢٠٠٠.

٢٤ – جلال الحنفي ، قواعد التجويد والإلقاء الصوتي ، الجمهورية العراقية ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ،١٩٨٧ .

٢٥ – جواد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الرابع ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٤

٢٦ – حسان بن ثابت الأنصاري، ديوانه ، دار بيروت للطباعة والنشر ، دار صادر، طبعة ١٩٦١

٢٧ – ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جزء ١١ ، دار الفكر ، بيروت طبعة أولى مصححة ،٢٠٠٠.

٢٨ – ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق د.كوكب دياب ، دار صادر ، بيروت، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ٢٠٠١

٢٩– حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، الجزء الأول ، دار الأندلس ، بيروت (د.ت) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣٠ – أبو الحسن حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد حبيب الخوجة ، تونس ، دار الكتب الشرقية ١٩٩٦ .

٣١ – أبو الحسن الجرجاني ، التعريفات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠.

٣٢ – أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، الجزء السادس ،. ١٩٧٩.

٣٣ – حسين بن محمد الديار بكري ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، الجزء الأول ، مؤسسة شعبان للنشر ، بيروت (د.ت).

٣٤– الخطيب القزويني ، تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع ، الطبعة الأولى ، مكتبة مصطفى البياتي الحلبي وأولاده ١٩٣٨

٣٥ – الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح محمد عبد المنعم خفاجي ، الجزء الثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت(د.ت).

٣٦ – ابن دريد الأزدي ، جمهرة اللغة ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي ،دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة الأولى،الجزء الثاني ، ١٩٨٧م.

٣٧ – روز غريب ، تمهيد في النقد الحديث ، دار المكشوف ، بيروت ١٩٧١.

٣٨ – زهير غازي زاهد ، في النص القرآني وأساليب تعبيره ، دار صفاء للنشر والتوزيع ،عمان الأردن ، الطبعة الأولى ٢٠١٢

٣٩ – ابن الزملكاني ، كمال الدين أبو المكارم عبد الواحد بن عبد الكريم ، التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ، تحقيق أحمد مطلوب ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٤

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤٠ – زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري ، التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة ، الطبعة الأولى، الجزء الأول ١٩٩٠م

٤١ – سميح عاطف ، خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ،الزين ، ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٦

٤٢ – س.د.لويس ،الصورة الشعرية ،ترجمة د.أحمد نصيف الجنابي ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، ١٩٨٢

٤٣ – ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ،القاهرة ١٩٥٣

٤٤ – سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٩

٤٥ – شهاب الدين الألوسي ، روح المعاني ،الجزء الثامن والعشرون ، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ٢٠٠٠

٤٦ – ابن شيث القرشي ، معالم الكتابة ومغانم الإصابة ، المطبعة الأدبية بيروت ١٩١٣

٤٧ – ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الجزء الأول ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت ، ١٤٢٠ هـ

٤٨ – ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، الجزء الأول (د.ت)

٤٩ – الطاهر أحمد الزاوي ، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، الجزء الرابع ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، (د . ت)

٥٠ – طه حسين ، في الشعر الجاهلي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٢٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥١ – الطبري ،أبو جعفر محمد بن جرير ، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، الجزء الثامن والعشرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١

٥٢ – أبو الطيب المتنبي ، ديوانه ، بشرح الواحدي ، الجزء الثاني ، دارالأرقم ، بيروت(د.ت) .

٥٣ – عبد الإله الصائغ ، الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية ، ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،الطبعة الأولى ، ١٩٩٧

٥٤ – ابن عبد البر القرطبي ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، الجزء الثالث ،تحقيق عادل مرشد، دار الأعلام ، عمان ،٢٠٠٢

٥٥ - ابن عبد ربه أحمد بن محمد الأندلسي ،العقد الفريد ، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ١٩٨٣

٥٦ – عبد الحميد جيدة ، إنشاء الكتابة عند العرب ، منشورات دار الشمال، الطبعة الأولى ١٩٨٦

٥٧ – عبد الفتاح نافع ، الصورة في شعر بشار بن برد ، دار الفكر ، عمان الأردن ١٩٨٣

٥٨ – عبد الفتاح عثمان ، التشبيه والكناية بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني ، مكتبة الشباب ، مصر،١٩٩٣

٥٩ – عبد القاهرالجرجاني ، أسرار البلاغة ، تحقيق : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت(د.ت).

٦٠ – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٦١ – عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.

٦٢ – عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في النقد الشعري ، في النظرية والتطبيق ، مكتبة الكتاني للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١

٦٣ – عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام " ، جامعة اليرموك ، إربد ، ١٩٨٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦٤ – عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مطبعة الظاهر ، القاهرة طبعة ١٩٠٨

٦٥ – د.عبد الواحد حسن الشيخ . البديع والتوازي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، مصر ،الطبعة الأولى ،١٩٩٩

٦٦ – عصام الدين بن محمد الحنفي ، حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي ، المجلد العشرون ، الطبعة الأولى ٢٠٠١

٦٧ – علي البطل ، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني ، دار الأندلس ، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٠

٦٨ – علي الجندي ، في تاريخ الأدب الجاهلي ، طبعة دار التراث الأولى ، المدينة المنورة ، ١٩٩١

٦٩ – علي بن عيسى الرماني ،النكت في إعجاز القرآن ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجازالقرآن ، تحقيق محمد خلف الله و د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٨

٧٠ – أبو علي الحاتمي ، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق د. جعفر الكتاني ، الجزء الأول، دار الرشيد للنشر ، العراق١٩٧٩

٧١ – عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري ، بهجة المحافل وبغية الأماثل ، المجلد الأول ، دار صادر ، بيروت (د.ت)

٧٣ – عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيين ، الجزء الأول ،مكتبة الخانجي ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة١٩٦٠

٧٤ – عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان ، الجزء الثالث ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده ، مصر .(د.ت)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧٥ – عمرو بن كلثوم ، ديوانه ، تحقيق وشرح د.إميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت، الطبعة الأولى ،١٩٩١

٧٦ – أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ،العقد الفريد ، الجزء الثاني ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٣٥

٧٧ – عاطف جودة نصر ، الخيال مفهومه ووظائفه ، مكتبة لبنان ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٩٨

٧٨ – فاضل السامرائي ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، الطبعة الأولى ،١٩٩٩

٧٩ – أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، الجزء الأول ، مطبعة الهلال ، مصر ، ١٩١٣

٨٠ – فخر الدين محمد بن عمرالرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، الجزء ٢٢ ، دار الفكر (د.ت).

٨١ – فخرالدين محمد بن عمر الرازي ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ،تحقيق د. بكري شيخ أمين ،دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٥

٨٢ – أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، المجلد الرابع ، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢.

٨٣ – ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،٢٠٠٢ .

٨٤ – قدامة بن جعفر البغدادي ،جواهر الألفاظ ،تحقيق محمد محي عبد الحميد، دار الكتب العلمية ببيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٥.

٨٥ – ابن قيم الجوزية ، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ،القاهرة ١٣٢٧ هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨٦ – الكندي ، رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق محمد عبدالهادي أبو ريدة ، دار الفكر العربي ، مصر ١٩٥٠ .

٨٧ – كمال أبو ديب ، جدلية الخفاء والتجلي ، دار العلم للملايين ، طبعة ١٩٨٠

٨٨ – كولريدج ، النظرية الرومانتيكية في الشعر ، سيرة أدبية لكولريدج ،ترجمة د.عبد الكريم حسان، دار المعارف / مصر ،طبعة ١٩٧١

٨٩ – لاروس . المعجم العربي الحديث . د. خليل الجر. مكتبة باريس"٦" ١٩٧٣

٩٠ – امرؤ القيس ، ديوانه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دارالمعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة(د.ت).

٩١ – المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي ،الكامل ، الجزء الثاني ، مكتبة المعارف ، بيروت.

٩٢ – محمد رفعت زنجير ، فن التشبيه في الشعر العباسي ، دار الأمان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٢.

٩٣ – محمد مصطفى هدارة ، في البلاغة العربية علم البيان ، دار العلوم العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٩

٩٤ – مصطفى الجويني ، البديع لغة الموسيقى والزخرف ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٣

٩٥ – محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣

٩٦ – ابن منظور ، لسان العرب ، مجلد ١١ ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨

٩٧ – ميمون بن قيس الأعشى الكبير ديوانه ، شرح د.محمد حسين ، المطبعة النموذجية ، القاهرة(د.ت).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩٨ – نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلانيين الروس ، ترجمة : إبراهيم الخطيب ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، ومؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢

٩٩ – ابن معصوم المدني ، أنوار الربيع في أنواع البديع ، تحقيق شاكر هادي شكر ، الجزء الخامس ، مطبعة النعمان ، النجف ١٩٦٩

١٠٠ – محمد مرتضى الزبيدي ، ، تاج العروس من جواهر القاموس، جزء ١٢ ، تحقيق مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٣

١٠١ – محمد أبو زهرة ، خاتم النبيين ، ،الجزء الأول ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى ١٩٧٢

١٠٢ – محي الدين رمضان ، في صوتيات العربية ، مكتبة الرسالة الحديثة ، عمان (د.ت) .

١٠٣ – مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠.

١٠٤ – د.محمد بكر اسماعيل ، دراسات في علوم القرآن ، الطبعة الأولى ١٩٩١

١٠٥ – محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الجزء الرابع ، دار الكتاب العربي ، بيروت ٢٠٠٨

١٠٦ – محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، دار عمار ، عمان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦

١٠٧ – ميمون بن قيس الأعشى ، ديوانه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٩٧٣

١٠٨ – محمد نظمي عبد البديع ، في النقد الأدبي ،جامعة الأزهر ، الاسكندرية ١٩٨٧

١٠٩ – محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار القرآن الكريم ، بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٩٨١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١١٠ – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح في اللغة ،تاج اللغة وصحاح العربية ، دار الفكر، بيروت ، تحقيق شهاب الدين أبو عمر، الجزء الثالث ١٩٩٨

١١١ – نعيم اليافي ، مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، وزارة الثقافة والرشاد القومي ، دمشق ١٩٨٢

١١٢ – نجم الدين بن الأثير الحلبي ، جوهر الكنز ،تحقيق د. محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف، الاسكندرية ، (د.ت) .

١١٣ – أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري ، الصناعتين ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٢

١١٤ – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، المجلد السادس ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الأولى، ١٩٠٦

١١٥ – ياكبسون ، قضايا الشعرية ، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء (د.ت).

الرسائل الجامعية

• إبراهيم عقلة الحجاج ، (جزء عم دراسة أسلوبية) ، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ٢٠٠٦

• أحمد دعسان ، التكثيف البلاغي في القرآن الكريم ،جزء عم دراسة أسلوبية ، رسالة ماجستير ، الجامعة الهاشمية ، ٢٠٠٨

• إيمان محمد ربيع ، (ثنائية الأرض والإنسان في شعر حيدر محمود . دراسة فنية) ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ، ٢٠١١

• عزة عدنان أحمد عزت،(بنية السورة القرآنية الواحدة في جزء عم ، دراسة صوتية) رسالة دكتوراة ، جامعة الموصل ٢٠٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• محمد محمود ضيف الله المقبل ، بناء الجملة الفعلية في جزء عم ، رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ٢٠٠٠

الدوريات

• إيمان الكيلاني ، المعوذتان دراسة أسلوبية ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها ، المجلد (٨) العدد (٣) تموز ٢٠١٢.

• سامح رواشدة ، التوازي في شعر يوسف الصائغ وأثره في الإيقاع والدلالة، مجلة أبحاث اليرموك ، المجلد ١٦، العدد ٢ ، ١٩٩٨.

• موسى ربابعة ، ظاهرة التوازي في قصيدة للخنساء ، مجلة دراسات ، المجلد الثاني والعشرون ، العدد الخامس ١٩٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit